

١٤٢

السنة الثالثة ١٩٧٣/٧/٢٦
تصدر كل خميس
ج ٠٠٤

المعرفة



ع

المعرفة

ع

عدالة "الجزء الأول"

ليس هذا عدلاً

كم من مرة نطق بهذه العبارة ؟

في معظم الأحوال نقولها بدافع من الاحتجاج ، عندما نشعر بأنك عوقبت عقاباً غير عادل ، أى أن الشخص الذى قرر هذا العقاب ، قد أخطأ فى تحديد شخصية المذنب ، أو أنه لم يكن هناك خطأ يستدعى العقاب ، أو أن الخطأ نفسه قد بولغ فى تقدير أهميته . وفى مثل هذه الحالة ، فإنك تشعر بالميل لعرض مشكلتك على شخص ثالث ، بأمل أن يرفع عنك العقاب ، أو قد تطلب من شخص ثالث أن يعاونك ، أى يدافع عن قضيتك .

ومن الطبيعى أن تكون بتصرفك هذا ، وإلى حد ما ، قد أثرت ، باسم الإنصاف ، « قضية » أمام « محكمة » .

والواقع أنه إذا اتهم شخص ما ، بارتكاب مخالفة ، فإنه يستدعى أمام محكمة يرأسها « قاض » ، مهمته فحص وقائع التهمة فحصاً دقيقاً ، ليقرر ما إذا كانت المخالفة قد ارتكبت فعلاً . وفى هذه الحالة ، فإنه يقرر ما إذا كان الشخص الذى استدعى أمامه هو نفسه الذى ارتكبها . وهنا تكون مهمة القاضي ، أن يقرر العقاب ، وطريقة إصلاح ما ترتب على ارتكاب المخالفة من أضرار .

والشخص الذى يوجه إليه اتهام ما ، يستطيع أن يطلب من « محام » أو « مفوض » أن يدافع عنه . وعندما تصدر المحكمة قرارها ، فإنه يستطيع أيضاً عرض هذا القرار على قاض من درجة أعلى ، ليقرر إلغاءه أو تعديله . ويطلق على هذا الإجراء الأخير اسم « الاستئناف » .

وهناك عدد كبير من الحالات التى تقتضى أن يصدر بصددها قرار ، باعتبارها سليمة من عدمه . وفيما يلي بعض الأمثلة :

— قد يتوفى شخص ما ، ويترك وراءه أملاكاً منوعة ، عقارات وأموال . . . إلخ ، غير أن الورثة لا يتفقون فيما بينهم على مقدار ما يخص كلا منهم من التركة ، وعلى ذلك ، فإنهم يقصدون محكمة متخصصة ، وهى « المحكمة المدنية » ، لى تقضى بما تراه بصدد طريقة تقسيم التركة .

— وقد ترتكب جريمة ، ولكن من الضرورى فى مثل هذه الحالة معرفة من الذى ارتكبها ، وفى أى الظروف ارتكبت . وتوجد محاكم متخصصة ، من نوع آخر ، للنظر فى مثل هذه الحالات ، وهى « محكمة الجنايات » .

— وقد يعقد اثنان من التجار صفقة تجارية ، فيشتري أحدهما بضاعة من الآخر ، غير أن المشتري يرفض دفع الثمن ، مدعياً بأن البضاعة من صنف رديئ .

وهنا يتوجه الإثنان أمام « المحكمة التجارية » ، التى تقرر ما إذا كان العدل يقتضى أن يدفع المشتري ثمن البضاعة بالكامل ، أو جزءاً آمنه فقط ، أو أن البضاعة يجب استبدالها .

— وقد يفصل صاحب عمل أحد مستخدميه لأنه ، كما يدعى ، لم يحسن أداء عمله . وفى هذه الحالة ، يستطيع المستخدم المفضل أن يلجأ إلى « محكمة العمال » ، وهى التى تقرر ما إذا كان فعلاً قد أساء أداء عمله ، وأن صاحب العمل كان على حق ، أو أنه على العكس لم يكن على حق ، وعندئذ يلزم بتعويض المستخدم .

وكل من هذه المحاكم تختص بفرع معين من النشاط القضائى ، غير أن المبدأ فى كل الأحوال واحد ، وإنما تختلف طرق تنفيذ اختصاصاتها .

ثم يكن القانون موجوداً منذ الآن

لم تكن المحاكم موجودة دائماً ، كما لم تبذل محاولات لتحديد ما هو حق ، وما ليس

اللجنة العلمية :

شفيق ذهني
كلوسون أباظه
محمد زكي نجيب
محمود مسعود
سكرتير التحرير : السيدة / عصمت محمد أحمد

اللجنة العلمية الاستشارية للمعرفة :

رئيساً : الدكتور محمد فتواد إبراهيم
أعضاء : الدكتور بطرس بطرس غاني
الدكتور حسين فوزي
الدكتورة سعاد ماهر
الدكتور محمد جمال الدين القندي



العدالة في عصر البربر : رجل ينتظر رجلاً آخر أساء إليه ليعاقبه بنفسه

بحق . وقد جاءت عصور لم يكن الأشرار فيها يلقون عقابهم ، لأنهم كانوا هم الأقوى ، ولم يكن أحد ليجرأ على مهاجمتهم .

والحق يقال إن مثل هذا الوضع يحدث حتى فى أيامنا هذه ، ولكل بدرجة أقل كثيراً ، مما كان يحدث بها فى الماضى .

ولنحاول الآن الوقوف على الكيفية التى تطورت بها العدالة :
إننا نعرف ، بقدر ما توصلنا إليه من تاريخ البشرية ، أن الناس كانوا يعيشون دائماً فى قبائل .

وبالضرورة نشأت العادات ، التى أخذت تنتقل بعد ذلك من جيل إلى جيل .
وبقدر ما كان كل فرد مسوقاً لتعلم سبل المعيشة ، فإنه كان يألف احترام بعض العادات ، وسرعان ما توطدت فى القبيلة عادة اللجوء إلى رئيسها ، ليحقق لأفرادها الإصلاح ، فى حالة ما إذا خولفت بعض تلك العادات .

غير أن تلك العادات لم تكن متشابهة فى كل مكان . فبعض القبائل كانت تعتقد بأن الرجل هو الذى يملك كل شئ ، وأن المرأة لا تملك شيئاً . وفى قليل من القبائل الأخرى ، كانت حقوق كل من الرجل والمرأة متساوية ، وفى قبائل أخرى كانت لبعض الأسر المتميزة ، حقوق تفوق كثيراً ما كان للأسر الأخرى .

فالعدالة إذن لم تكن كما نعرفها اليوم ، تساوى بين الجميع فى الحقوق والواجبات ، مهما كانت جنسياتهم ، أو دياناتهم ، أو مقدراتهم . ومع ذلك ، فقد كانت هناك بعض القواعد ، ويمكننا أن نعبّر عن ذلك بلغة اليوم ، بأن تلك القواعد كانت هى « القانون » .

ومن أشهر تلك القواعد ، ذلك القانون المعروف باسم قانون المثل ، والذى يمكن تلخيصه بأن « العين بالعين والسن بالسن » . فمثلاً إذا نسب شخص ما فى جرح شخص آخر ، فإن عقوبة المعتدى تكون بجرحه جرحاً مماثلاً تماماً للجرح الذى سببه للمعتدى عليه . وإذا سرق لص بقرة ، ألزم بدفع ثمن بقرتين .

وكثيراً ما كانت تصاحب تنفيذ هذا القانون ، أعمال تتصف بالقسوة المتناهية . فضلاً عن ذلك ، فإنه لم تكن تراعى الظروف التى صاحبت ارتكاب الجرم ، وبالتالي لم تكن تراعى الدوافع التى أدت إلى ارتكابه .



أول ملوك بابل ينشر مجموعه قوانينه (٣٠٠٠ ق. م)

الدولة الفاطمية في مصر



كانت النتيجة الطبيعية لما حل بالعلويين من حبس وقتل ، أن عمدوا إلى نشر دعوتهم في الخفاء ، وتلمسوا أماكن يختفون فيها ، ويتخذونها ملاجئ يدرأون بها عن أنفسهم ، ما كان يوقعه العباسيون بهم من حبس واضطهاد . وقد استطاعت طائفة الإمامية الإسماعيلية ، بفضل أبي عبيد الله الشيعي المختب ، نشر الدعوة الإسماعيلية في بلاد المغرب ، وتأسيس دولة هناك عرفت بالدولة الفاطمية . على أن لفظ الفاطميين الذي عرف به أولا عبيد الله المهدي ، يشعر في بادئ الأمر ، بأنهم من أولاد السيدة فاطمة الزهراء بنت النبي صلى الله عليه وسلم ، فهم علويون أيضا . إلا أن نسب هذه الأسرة ، كان ولا يزال ، موضوعا كثرت فيه آراء جمهور الكتاب والمؤرخين الأقدمين والحديثين .

خزف ذو بريق معدني من العصر الفاطمي

فتح مصر

استطاع الفاطميون إزالة دولة الأغالبة في تونس ، وتأسيس دولتهم في القيروان ، حيث بويج عبيد الله بالخلافة ، وتلقب « بالمهدي أمير المؤمنين » . وكان استيلائهم على تونس ، خطوة لامتداد نفوذهم شرقا وغربا . أما في المشرق ، فقد عمل المهدي ، منذ اعتلائه العرش ، على محاولة الاستيلاء على مصر ، وبرغم فشل الحملة ، التي أرسلها لفتحها ، إلا أنه عاود الكرة مرة ثانية ، وحلت الهزيمة بجيوشه للمرة الثانية . ولما تولى الخلافة ابنه القاسم بعد وفاته ، تابع سياسة أبيه في غزو مصر ، ولكن محاولاته باءت بالفشل كذلك ، ومن ثم لم يقم الخليفة المنصور بن القاسم بأية محاولة لغزوها .

فلما تولى المعز لدين الله خلافة الدولة الفاطمية بعد أبيه المنصور ، أخذ يعد العدة لفتح مصر ، لأنه رأى بثناقب فكره ، كما رأى جلد عبيد الله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية في شمال أفريقيا ، أن بلاد المغرب لا تصلح لأن تكون مركزا لدولتهم ، فضلا عن ضعف مواردها ، كان يسودها الاضطراب من حين إلى آخر . كما أن قرب مصر من شرق العالم الإسلامي ، يجعلها صالحة لإقامة دولة مستقلة ، تستطيع منافسة العباسيين ، أخطر أعداء الفاطميين .

وقد عهد المعز لدين الله إلى جوهر الصقلي ، قيادة الحملة التي استطاعت الاستيلاء على مصر دون مقاومة تذكر بعد وفاة كافور ، واضطراب الحالة السياسية والاقتصادية في البلاد ، وذلك سنة ٣٥٨ هـ . (سنة ٩٦٩ م) .

مصر خلافة فاطمية

عمل جوهر الصقلي ، منذ استيلائه على مصر ، على اتخاذها مقرا للخلافة الفاطمية ، فشرع في وضع أساس مدينة القاهرة ، كما أمر بحذف الدعوة لخلفاء الدولة العباسية التي كانت تقام في مساجد مصر ، وأقامها لخليفة المعز ، وضرب النقود باسم الخليفة الفاطمي ، بدلا من الخليفة العباسي . كذلك منع جوهر الناس من لبس السواد ، شعار العباسيين ، وحتم على أن تحتوى خطبة الجمعة على العبارة الآتية (اللهم صلى على محمد النبي المصطفى ، وعلى علي المرتضى ، وفاطمة البتول ، والحسن والحسين سبطي الرسول ، الذين أذهبت عنهم الرجس وطهرتهم تطهيرا ، اللهم صلى على الأئمة الراشدين ، آباء أمير المؤمنين المهديين) . كما تحتم أن يحتوى الأذان على عبارة (حي على خير العمل) ، بدلا من العبارة السنية (حي على الفلاح) . وقد ساعدت مثل هذه الشارات والشعارات على نشر الدعوة الفاطمية ، التي لقيت الكثير من القبول عند المصريين ، لحبهم لآل البيت .

المعز لدين الله

يعتبر الخليفة المعز لدين الله ، رابع خلفاء الدولة الفاطمية في بلاد المغرب ، ومؤسس الدولة الفاطمية في مصر ، وأول خلفائها . فبعد أن استقر سلطان الفاطميين في مصر ، أرسل جوهر الصقلي يطلب منه الحضور لتولي زمام الحكم في البلاد . فخرج المعز من المنصورة عاصمة الفاطميين في شمال أفريقيا (تونس الحالية) في شوال سنة ٣٦١ هـ ، فوصل الإسكندرية في شعبان سنة ٣٦٢ هـ ، وكان في نيته الاستقرار في مصر ، حتى إنه أحضر معه رفات آبائه . وفي الإسكندرية ، استقبله أعيان البلاد ، وعلى رأسهم قاضي القضاة ، فجلس الخليفة عند منارة الإسكندرية ، حيث ألقى خطبة جاء فيها : « إنه لم يدخل مصر طمعا في زيادة ملكه ولا مال ، وإنما أراد إقامة الحق ، وحماية الحجاج ، وأن يحتم حياته بالأعمال الصالحة ، وأن يعمل بما أمر به جده رسول الله صلى الله عليه وسلم » . ثم غادر الإسكندرية قاصدا القاهرة ، فوصلها في رمضان سنة ٣٦٢ هـ .

صفاته : قضى المعز القسم الأكبر من خلافته في بلاد المغرب ، ولم يبق في مصر أكثر من سنتين إلا قليلا . وكان المعز مثقفا يجيد عدة لغات ، منها اللغة الإيطالية والصقلية ، كما عرف طبقات التفاضل السودانية ، وكان ذا ولع بالعلوم ، ودراسة الأدب . هذا فضلا عما عرف به من حسن التدبير ، وإحكام الأمور ، كما كان عليه آباؤه من قبل . وكان المعز ، كثيره من الخلفاء الفاطميين ، مغرما بعلم العلوم ، حتى كان يستشير منجمه في كل ما يتعلق بحياته الخاصة ، وفي أمور الدولة العامة ، وقد توفي المعز في شهر ربيع الآخر سنة ٣٦٥ هـ .

العزيب بالله

تولى العزيز بعد وفاة أبيه ، وكانت خلافته عهد يسر ، ورخاء ، وتسامح ديني ، وثقافة ؛ فهو الذي حول الجامع الأزهر إلى جامعة بمعناها المعروف اليوم ، بعد أن كان معهدا خاصا بدراسة الفقه الشيعي ، وإقامة الصلاة . وفي عهد العزيز ، اتسعت رقعة الدولة الفاطمية ، فامتدت من بلاد العرب شرقا ، إلى المحيط الأطلنطي غربا ، ومن آسيا الصغرى شمالا ، إلى بلاد النوبة جنوبا . وفي أيامه تفاقم خطر القرامطة (فرقة من الشيعة مناوئين للفواطم ، ومن أكبر أعدائهم) . وأفتكين في الشام ، وكان قد استعصى أمرهما على أبيه . كان العزيز رجلا متمعا بميل إلى الأبهة ، كما كان خبيرا بالجواهر ، ابتدع نوعا

جديدا من العائم محلاة بخيوط الذهب ، وسروجا معطرة بالعنبر ، واقتنى كثيرا من الطرف يزين بها مواعده . وقد شغف العزيز بجوارح الطير الغريبة ، وجلب لذلك الطيور والحيوانات من جنوب السودان . وكان مغرما بالصيد ، وخاصة صيد السباع . وكان العزيز إلى جانب ميله إلى الترف ، والأبهة ، ذكيا ، أدبيا ، مستنيرا ، يجيد عدة لغات كابيه المعز .

توفي العزيز بمدينة بلبيس ، وكان قد خرج لحرب القرامطة ، سنة ٣٨٦ هـ ، وهو في الرابعة والأربعين . ويقول ابن خلكان إنه لما اشتدت على العزيز وطأة المرض ، استدعى إليه القاضي محمد بن النعمان المغربي ، وأبا الحسن بن عمار زعيم كتامة ، واستشارهما في تولية ابنه المنصور أبي علي ، الذي عرف بالحاكم بأمر الله .

الحاكم بأمر الله

بويج الحاكم بالخلافة في اليوم الذي توفي فيه والده ، وذلك في شهر رمضان سنة ٣٨٦ هـ ، وله من العمر إحدى عشرة سنة ونصف السنة ، فتولى الوصاية عليه مربيه وأستاذه برجوان الخادم . وقد قسم المؤرخون عهد الحاكم إلى أربعة أقسام : الأول من سنة ٣٨٦ هـ إلى سنة ٣٩٠ هـ ، وكان الحاكم في هذه المدة لا يملك من أمور السلطان شيئاً ، إذ كانت السلطة في يد ابن عمار ، ثم في يد برجوان . والثاني من سنة ٣٩٠ هـ إلى سنة ٣٩٥ هـ ، وفيه كانت للحاكم بأمر الله على حداثة سنه ، سلطة كبيرة ، فأظهر تعصبا للمذهب الفاطمي . وبذلك اضطهد أهل الذمة ، كما اضطهد المسلمين من غير الشيعة . والثالث من سنة ٣٩٦ هـ إلى سنة ٤٠١ هـ ، وفيه بدل الحاكم سياسة التعصب مدفوعا بعاملين : تهديد حدود مصر من جهة الغرب ، والثاني ما قاسته مصر من جراء انخفاض النيل مدة ثلاث سنين . أما القسم الرابع والأخير ، فيمتد من سنة ٤٠١ هـ إلى سنة ٤١١ هـ ، وفيه تذبذبت سياسة الحاكم ، فقد أصبح عقله أكثر ارتباكا واضطرابا . على أن سياسة الحاكم هذه ، وإن كانت قد أثارت سخط المصريين عامة ، إلا أنها ساعدت على استقرار الأمن ، والحفاظ على الآداب العامة ، وقضت على الفوضى التي كانت سائدة في أول عهده . وفي عهده ظهرت طائفة الدرزية ، التي دعت إلى الاعتقاد بالوهمية الحاكم ، مما أثار النزاع بينه وبين السنيين ، ذلك النزاع الذي انتهى بقتله في سنة ٤١١ هـ . وقد أنشئت في عهد الحاكم دار الحكمة ، التي كانت تضم الكثير من العلماء ، والفقهاء ، والمنجمين ، وألحقت بها مكتبة عرفت باسم دار العلم ، حوت كثيرا من أمهات الكتب المصرية وغيرها من البلاد الإسلامية .

الظاهر لأعزازدين

تولى الخلافة بعد قتل أبيه الحاكم ، وهو في السادسة عشرة من عمره ، وقامت عمنه ست الملك بالوصاية عليه ، فأظهرت كفاية ممتازة في إدارة شئون البلاد ، وبذلت العطاء للجنود ، وظلت تشرف على الدولة إلى أن توفيت في سنة ٤١٥ هـ . وكان الظاهر سمحا عاقلا ، لين العريكة ، استطاع بحسن سياسته أن يكتسب عطف أهل الذمة ، ومحبتهم له ، فتمتعوا في عهده بالحرية الدينية . كما وجه عنايته إلى ترقية شئون البلاد ، وتحسين حالة الزراعة .. ولم يتمتع الظاهر بالخلافة طويلا ، فقد مرض بالاستسقاء ، وتوفي سنة ٤٢٧ هـ .

المستنصر بالله

بويج بالخلافة وهو في السابعة من عمره ، وظل فيها ستين عاما تقريبا . غير أن مصر لم تتمتع طوال هذه المدة بالرخاء والطمأنينة غير فترة قصيرة ، فقد جرت بها أحداث سياسية ، واقتصادية ، واجتماعية ، كان من أثرها أن ترزع مركز الخلافة الفاطمية في مصر وخارجها . وليس أدل على الفوضى التي سادت مصر في ذلك العهد ، من تقلد أربعين وزيرا في تسع سنوات . وكان من أهم أسباب الفوضى ، القحط والغلاء ، بسبب انقطاع ماء النيل مدة ثماني سنوات ، وما أعقبه من الوباء والموت . هذا بالإضافة إلى أن هذه الشدة التي اصطالح المؤرخون على تسميتها « الشدة العظمى » ، قد اقترنت بقيام الفتن والحروب الأهلية ، التي تداركها بدر الجمل والى عكا ، عندما استدعاه الخليفة المستنصر ، فأعاد النظام ، ووجه همه إلى إصلاح حال البلاد ، وقضى على المفسدين .

المستعلي بالله

بويج المستعلي بالخلافة ، بعد وفاة أبيه المستنصر سنة ٤٨٧ هـ ، دون أخيه أبي منصور نزار الذي ولاه أبوه عهده ، وشرع في أخذ البيعة له أثناء مرضه ، غير أن وزيره الأفضل أخذ يماطله ، حتى توفي قبل أن تتم مبايعة ابنه نزار . ويرجع السبب في ذلك ، إلى أن الأفضل دخل مرة أحد أبواب قصر المستنصر راكبا بغلة ، فلما رآه نزار ، قال له : انزل يا أرمني يا نجس ، فحقد عليه الأفضل ، وانتزح فرصة وفاة المستنصر ، وحال بينه وبين الخلافة ، وبذلك انقسمت الدعوة الفاطمية قسمين : المستعلية والنزارية ، أي الدعوة الجديدة .



مشهد جامع أحمد بن طولون



خزف ذو بريق معدني

وكان المستعلي مسلوب السلطة مع الأفضل ، لذلك لا نعجب إذا رأينا هذا الوزير يتنزه فرصة ضعف الخليفة الفاطمي ، فيقبض على زمام الأمور في مصر . وفي عهد المستعلي ، بدأ الصليبيون يغيرون على سواحل بلاد الشام ، حتى وصلوا إلى بيت المقدس ، وظل الفرنجة يواصلون فتوحاتهم ، حتى استولوا على فلسطين .

الأمير بأحكام الله

تولى الأمر بالخلافة بعد وفاة أبيه المستعلي سنة ٤٩٥ هـ ، وقبض الأفضل

على زمام الأمور في البلاد ، وأخذ هذا الوزير يعيل إلى السنيين ، مما أثار عليه حقد طائفة الباطنية ، عقيدة الدولة الفاطمية ، وصمموا على اغتياله ، وتم لهم ذلك سنة ٥١٥ هـ . فقد أعاد الأمر دار العلم بعد أن أغلقها الأفضل ، حيث أنها كانت دار الدعوة للمذهب الشيعي الإسماعيلي . وكان السبب في إعادة فتحها ، أنه نما إلى علم الخليفة أن رجلين من أهل السنة ، يترددان على هذا المكان ، وأن كثيرا من الناس أصغوا إليهما ، واعتنقوا السنية .

الحافظ لدين الله

ولى الحافظ الخلافة بعد مقتل ابن عمه الأمر ، على يد جماعة من النزارية ، بعد أن



▲ إفريز من الخشب ، به زخارف محفورة

تخلص من الطفل الذى أنجبه الأمر من إحدى سراريه . ولكن الأمر لم يستقم لخليفة الحافظ ، فقد قامت الدعوة لذلك الطفل ، ولقب بالإمام الطيب ، ونقشت النقود باسمه فى سنة ٥٢٥ هـ بمدينة الإسكندرية . ولما تولى أبو على ابن الأفضل ، الملقب بالأكل ، وزارة الخليفة الحافظ ، عزله وشل يده عن التصرف فى أمور الدولة ، ومنع الناس من زيارته إلا بإذن منه ، ثم استولى على ما فى القصر ، ومنع ذكر اسم الخليفة فى الخطبة . فكره الشيعة المصريون ذلك الفعل من الوزير ، وصمموا على قتله ، فانتهزوا فرصة خروجه إلى لعب

الكرة (لعبة البول) ، وكنت له جماعة ، وحمل عليه مملوك للحافظ قطعنه ، وقطعوا رأسه ، وأخرجوا الحافظ وبايعوه ثانية ، ونهبت دار الوزير . وكانت ولاية الحافظ على مصر تسع عشرة سنة تقريبا . وتولى الخلافة بعده أصغر أولاده .

الظافر بالله

بويغ بالخلافة بعد موت أبيه الحافظ سنة ٥٤٤ هـ ، وهو ابن سبع عشرة سنة ، وأمه أم ولد تدعى ست الوفاء ، وقيل ست المنى . يصفه المؤرخ سبط بن الجوزى فيقول : وكانت أيامه مضطربة لحدائثه سنه ، واشتغاله باللهو ، ولذلك استولى عليه وزيره عباس الصنهاجى . وقد انتهى أمر الخليفة الظافر بأن قتله نصر ابن وزيره عباس ، ولكن الجند ، والعبيد ، وأهل القاهرة طالبوا بثار الظافر من عباس وابنه نصر . فأخذ عباس وابنه نصر ما قدرا عليه من المال والجواهر وهربا إلى الشام ، فبلغ الفرنجة فخرجوا إليهما ، فقتلوا عباسا وأسرُوا ابنه نصر ، وفازوا بما كان معه ، وكان ذلك سنة ٥٤٩ هـ .

الفائز يتصرأه

بويغ بالخلافة حين قتل والده الظافر ، وله خمس سنين ، فحمله الوزير عباس على



حشوة من العاج

كتفه ، ووقف فى صحن الدار ، مظهرها الحزن والكتابة . وبعد أن فر عباس وابنه نصر كما سلف ذكره ، تكفل الصالح طلائع بن رزيك أمر الصبي (أى الفائز) ، وسار فى الناس أحسن سيرة ، ولما ولى الوزارة ، تلقب بالملك الصالح ، وخلع عليه . كل ذلك والفائز ليس له من الخلافة إلا مجرد الاسم فقط ، وذلك لصغر سنه . فلما ثقلت وطأة الصالح طلائع على القصر ، وكان الخليفة الفائز فى تدبير عمته ، شرعت فى قتله ، فلما علم بذلك ابن رزيك ، أوقع بها وقتلها ، ثم نقل كفالة الفائز إلى عمته الصغرى ، وطيب قلبها ، فحماه ذلك منها ، بل ربت قتله . وتوفى الفائز سنة ٥٥٥ هـ ، وهو ابن عشر سنين أو نحوها .

العاضد بالله

بويغ بالخلافة بعد موت ابن عمه الفائز بنصر الله ، وهو ابن إحدى عشرة سنة . أجلسه الملك الصالح طلائع بن رزيك على سرير الخلافة وزوجه ابنته ، ثم تولى هو الوزارة . وبعد مقتل رزيك ، تولى الوزارة شاور بن مجير السعدى ، وإلى قوص سابقا . ولكن سرعان ما دب الخلاف بين شاور ، وبين كبير أمراء رزيك المصرفيين (بالبرقية) وهو ضرغام ، الذى جمع الأمراء ضد شاور حتى

أخرجوه من القاهرة ، وتولى ضرغام الوزارة . ولكن شاور لم يقنع بالهزيمة ، بل سار إلى الشام ، واستنجد بالملك العادل نور الدين زنكى ، فأرسل معه أحد أمرائه وهو أسد الدين شيركوه بن شادى ، ومعه ابن أخيه صلاح الدين . فلما وصلوا القاهرة ، خرج إليهم ضرغام ، لأنه طعن وقتل ، فاستولى شاور ثانيا على القاهرة . لكن عندما طلب منه أسد الدين رزق الجند ، ماطل وامتنع ، ثم أرسل شاور إلى الفرنجة ، والتقى بهم فى قلعة الدارم قرب غزة ، واتفق معهم على القضاء على أسد الدين . إلا أن الفريقين اضطرا إلى الصلح ، وترك كلاهما مصر . سار شاور على عادته ، يظلم ، ويقتل ، ويصادر أملاك الناس ، ولم يبق للعاضد معه أمر أوهى . لذلك أرسل الخليفة العاضد يستنجد بنور الدين على شاور ، فأرسل له أسد الدين ومعه ابن أخيه صلاح الدين . فلما علم بذلك شاور ، استنجد هو الآخر بالفرنجة ، وانتهى الأمر بخروج الفرنجة ، وقتل شاور .

واستوزر العاضد أسد الدين شيركوه ، فلما توفى ، تولى الوزارة بعده صلاح الدين ، ولقب بالملك الناصر . فلما مرض الخليفة العاضد ، جمع صلاح الدين الأمراء والأعيان ، واستشارهم فى أمر قطع الخطبة للعاضد ، والدعاء لبني العباس . ثم توفى الخليفة العاضد سنة ٥٦٧ هـ ، وانتهت بموته الدولة الفاطمية ، فكتب صلاح الدين يخبر نور الدين بإقامة الدعوة العباسية بمصر .

رسم بالألوان المائية (فرسكو) من حمام فاطمى



موناكو وأندورا

أن تربتها صالحة لزراعة النخيل ، والزيتون ، والموايح ، كما أنه عامل قوى في اجتذاب السياح إلى موناكو ، ولاسيما في أشهر الشتاء .

وقد كان الموقع الجغرافي لموناكو ، سببا في توفير قدر لها من الاستقلال منذ أقدم العصور . ونظامها السياسي كإمارة ذات سيادة يرجع إلى عام ١٢٩٧ ، عندما تولته أسرة جريمالدى Grimaldi من جنوة ، واحتفظت به منذ ذلك التاريخ ، فيما عدا الفترة من ١٧٩٣ إلى ١٨١٥ ، عندما ألحقها فرنسا بها . والواقع أنه لما يدعو للدهشة ، أن تتمكن هذه الولاية الصغيرة ، من الاحتفاظ باستقلالها طيلة ذلك الزمن ، وأن يظل حكمها في أسرة واحدة . والكيان السياسي لموناكو تضمنته معاهدة مبرمة مع فرنسا ، تنص على أنه في حالة انقراض أسرة جريمالدى ، فإن موناكو تصبح دولة ذات حكم ذاتي تحت الحماية الفرنسية . ويتولى السلطة التشريعية في الولاية ، الأمير الحاكم ، بالاشتراك مع المجلس الوطني الذي يتكون من ١٨ عضوا . وأهالى



▲ ثلاث نقط على خريطة أوروبا : موناكو ، وأندورا ، ليختنشتاين

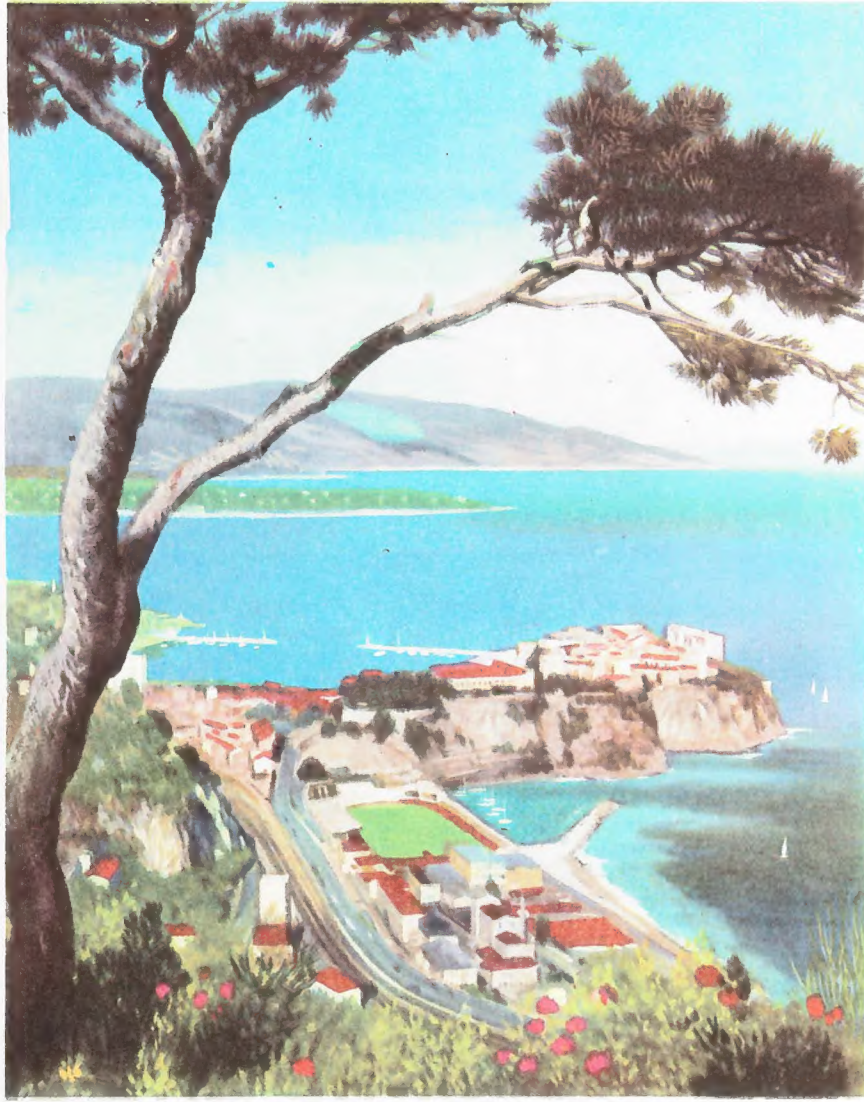
في عام ١٩٥٩ انعقد مؤتمر غير عادى ، اشتركت فيه أربع من أصغر دول أوروبا ، وهى أندورا Andorra ، وموناكو Monaco ، وليختنشتاين Liechtenstein ، وسان مارينو San Marino . وهذه الدول الأربع تختلف في سماتها ، ولكنها تشترك في مشكلة واحدة ، ألا وهى كيف تستطيع أن تبقى وتتقدم كدول مستقلة . وقد كانت السياحة هى أهم الموضوعات التى ناقشها ذلك المؤتمر ، ذلك لأنها أهم الصناعات القائمة في تلك الدول الصغيرة . والواقع أن كلا من هذه الدول ، مضطرة لاجتذاب السياح إليها ، لكى تستطيع أن تكسب من ورائهم ما يكفى من أموال ، لاستيراد ما يلزمها من باقى دول العالم . ويتدفق آلاف من السياح كل عام عبر حدودها ، ليشاهدوا على الطبيعة ماهية تلك البلاد ، التى لا تكاد ترى إلا كنقطة على خريطة أوروبا ، ولكى يتمتعوا بجمالها الطبيعي ، وعادات أهلها الفريدة في أسلوبها .

إمارة موناكو

تقع موناكو على بعد حوالى ١٤ كم إلى الشرق من مدينة نيس Nice ، على الساحل الفرنسى المطل على البحر المتوسط ، على مقربة من الحدود الإيطالية . وتتكون الإمارة من شبه جزيرة صخرية ، مساحتها حوالى ٣٧٠ فدانا ، تحيط بها إحاطة تامة من جانب القارة مقاطعة الألب ماريتيم الفرنسية الجبلية Alpes Maritimes . ومناخها غاية في الاعتدال ، إذ تتراوح درجة الحرارة فيها بين ٥٤° فهرنهايت في شهر يناير ، و٧٤° فهرنهايت في شهر يوليو . ويرجع السبب الرئيسى في هذا المناخ المعتدل ، إلى أن جبال الألب تحجب عنها الرياح الشمالية ، ومنها رياح المسترال Mistral العنيفة ، التى تهب على طول وادى الرون . وشتاؤها غنى بأشعة الشمس ، في حين يبلغ المتوسط السنوى لسقوط الأمطار حوالى ٨٢ سم . ومعنى ذلك

هل كنت تعلم؟

- ١ أن أصغر بلاد أوروبا هى : دولة مدينة الفاتيكان ومساحتها ١٠٩ أفدنة ، وإمارة موناكو مساحتها ٣٧٠ فدانا ، وجمهورية سان مارينو مساحتها ٦٠ كم^٢ ، وإمارة ليختنشتاين مساحتها ١٦٠ كم^٢ ، وإمارة أندورا الثنائية ومساحتها ٤٩٥ كم^٢ .
- ٢ أن كثافة السكان في أندورا ٣٣ نسمة للميل المربع ، وفي ليختنشتاين ٢٩٧ نسمة ، في حين أن أكثر من ٢٠٠٠٠ نسمة في موناكو ، يعيشون فيما يكاد يتجاوز ٢,٥٩ كم^٢ .



موناكو ، الإمارة المشمسة على البحر المتوسط

موناكو البالغ عددهم ٢٣,٤٠٠ نسمة ، معافون من الخدمة العسكرية ، ولهم حق حرية الانتقال داخل فرنسا وخارجها . ولكن من المخطور عليهم الاقتراب من موانئ الميسر في كازينو مونت كارلو الشهير ، الذى يعتبر أكبر مورد فردى للدخل في إمارة موناكو . وفيما عدا مونت كارلو ، بمينائها البديع ، وحدائقها الغربية ، توجد في الولاية مدينتان أخريان - موناكو فيل Monaco-Ville ، ولاكوندامين La Condamine . وموناكو فيل ، أو المدينة ذات الأسوار القديمة ، يشرف عليها قصر الحاكم ، وهو الأمير رينيه الثالث Rainier III ، كما أنها تضم المتحف البحرى الشهير ، الذى أنشأه جد الأمير رينيه ، ألبرت الأول Albert I ، في عام ١٩١٠ . وتقع لاكوندامين

وليختنشتاين

على الخليج الغربي ، وهي أكبر مدن الإمارة الثلاث ، والمركز التجاري لموناكو . وتشتمل صناعاتها على المشروبات الروحية ، والطور ، والخرف .

إمارة أندورا الثنائية

في المرتفعات الواقعة في منطقة جبال البرانس الشرقية بين أسبانيا وفرنسا ، ثمة مجموعة من الوديان ، تتكون من عدة نهيرات ، تتجمع لتكون نهر فاليرا Valira ، وهو أحد فروع نهر سيجر Segre ، قبل وصوله إلى الأراضي الأسبانية . وهذه المجموعة من الوديان ، التي تبلغ مساحتها حوالي ٤٩٥ كم^٢ ، تكون إمارة أندورا الثنائية . وأكثر مناطق هذه الإمارة انخفاضاً ، يرتفع عن سطح البحر بنحو ١٠٠٠ متر ، والجبال التي تحيط بها يتراوح ارتفاعها بين ٢٠٠٠ و ٣٣٠٠ متر . ومعنى ذلك أن الإمارة معزولة بدرجة كبيرة ، ولا سيما في الشتاء ، عندما يسد الجليد الممرات المؤدية إليها ، فيما عدا الجنوب الغربي منها ، حيث يهبط مضيق نهر فاليرا طريقاً مفتوحاً طوال العام ، يؤدي إلى أسبانيا . وقد كانت هذه العزلة من الأسباب التي جعلت سكان أندورا يحتفظون بأسلوب معيشتهم الفريد ، الذي يكاد يشبه أسلوب الحياة في العصور الوسطى . وتعد حقولها المخضرة في فصل الصيف ، من العوامل الرئيسية في اجتذاب السياح إليها .

ويرجع النظام السياسي الفريد في أندورا ، باعتبارها إمارة ثنائية الحكم ، إلى عام ١٢٧٨ عندما تمكن الكونت الفرنسي أوف فوا of Foix ، ورئيس أساقفة أرجل Urgel الأسباني ، من اقتسام المنطقة فيما بينهما ، على أن يحكماها بالاشتراك سوية . وكان معنى هذا الاتفاق ، أن أندورا لم تكن في وقت من الأوقات على صلة وثيقة بأى من جيرانها الأقوياء ، ولذلك فقد حاولت أن تحتفظ باستقلالها . ويحكم البلاد الآن المجلس العام للوديان ، الذي يتكون من ٢٤ عضواً ، ينتخبون من بين السكان المحليين ، هذا بالرغم من أن كلا من فرنسا وأسبانيا لا يزال يمارس على الولاية قدراً من الرقابة . ويقوم أعضاء المجلس العام باختيار نائب أول ، يتولى السلطة التنفيذية . ومعظم السكان البالغ عددهم ٢٠.٥٥٠ نسمة ، يعيشون في ست قرى صغيرة ، أكبرها أندورا لا فيلا Andorra-la-Vella عاصمة الإقليم . ولغة البلاد هي القطلونية Catalan ، ويعتق معظم السكان المذهب الكاثوليكي الروماني .



كنيسة سانت جوان دي كاسلر في جبال أندورا المنعزلة

وأندورا من أقاليم المراعى التقليدية . ففي الصيف تساق قطعان ضخمة من الأغنام والماشية ، لترعى فوق مراعى الوديان العالية ، أما في الشتاء ، فإن نقص الكأ ، وقسوة الجو ، تضطران الأهالي لنقل قطعانهم لترعى في الأراضي المنخفضة في فرنسا وأسبانيا .

وفي السنوات الأخيرة ، استخدمت السفوح السفلى بالوديان ، لزراعة الدخان الذي يجري تصنيع أوراقه محلياً ، وتهرب منه كميات كبيرة إلى فرنسا وأسبانيا ، تهرباً من الرسوم الجمركية الباهظة . أما البضائع التي تستوردها أندورا ، فلنراها لا تخضع إلا لرسوم جمركية ضئيلة ، الأمر الذي يجعل من انخفاض أسعارها ، عاملاً من بين العوامل التي تجذب العديد من السياح ، الذين يفدون لزيارة هذا الإقليم الجميل الفريد في نوعه .

ليختنشتاين . . إقليم الأساطير الواقعة بين نهر الراين وجبال الألب

في القرن الماضي ، وفي نجاحها في الاحتفاظ باستقلالها . وقد ظلت الإمارة بدون جيش منذ عام ١٨٦٨ ، وبها قوة من رجال الشرطة قوامها ١٣ رجلاً ، للمحافظة على النظام في أرجاء الولاية . وابتداء من عام ١٩٢١ ، أصبحت الإمارة خاضعة لحكم ملكي دستوري ، ومجلس تشريعي ينتخب انتخاباً حراً مباشراً ، يشترك فيه جميع البالغين .

ويبلغ عدد سكان ليختنشتاين ٢١,٣٥٠ نسمة ، يتكلم معظمهم اللغة الألمانية ، ويدينون بالكاثوليكية الرومانية ، ويشغلون بالزراعة والصناعات الخفيفة . وأهم محصولاتهم القمح ، والخضروات ، والكروم ، كما يربون الماشية ، والأغنام ، والماعز ، والخنازير . وتوجد في الجزء الجنوبي من الإقليم ، مصانع لتوليد الكهرباء بالقوة المائية ، وهي تمد المنطقة بالطاقة اللازمة لصناعة أجهزة البصريات ، والمنسوجات القطنية ، والأسنان الصناعية ، والخرف ، والمصنوعات الجلدية . ومع ذلك فإن أهم الصناعات في ليختنشتاين هي طوابع البريد ، وتبلغ حصيلة بيع هذه الطوابع ما يقرب من ربع الدخل القومي . وفادوز العاصمة ، مركز صناعة الطوابع ، يؤمها هواة جمع الطوابع وتجارها من جميع أنحاء العالم للشراء منها ، ولزيارة متحفها الشهير الخاص بطوابع البريد .



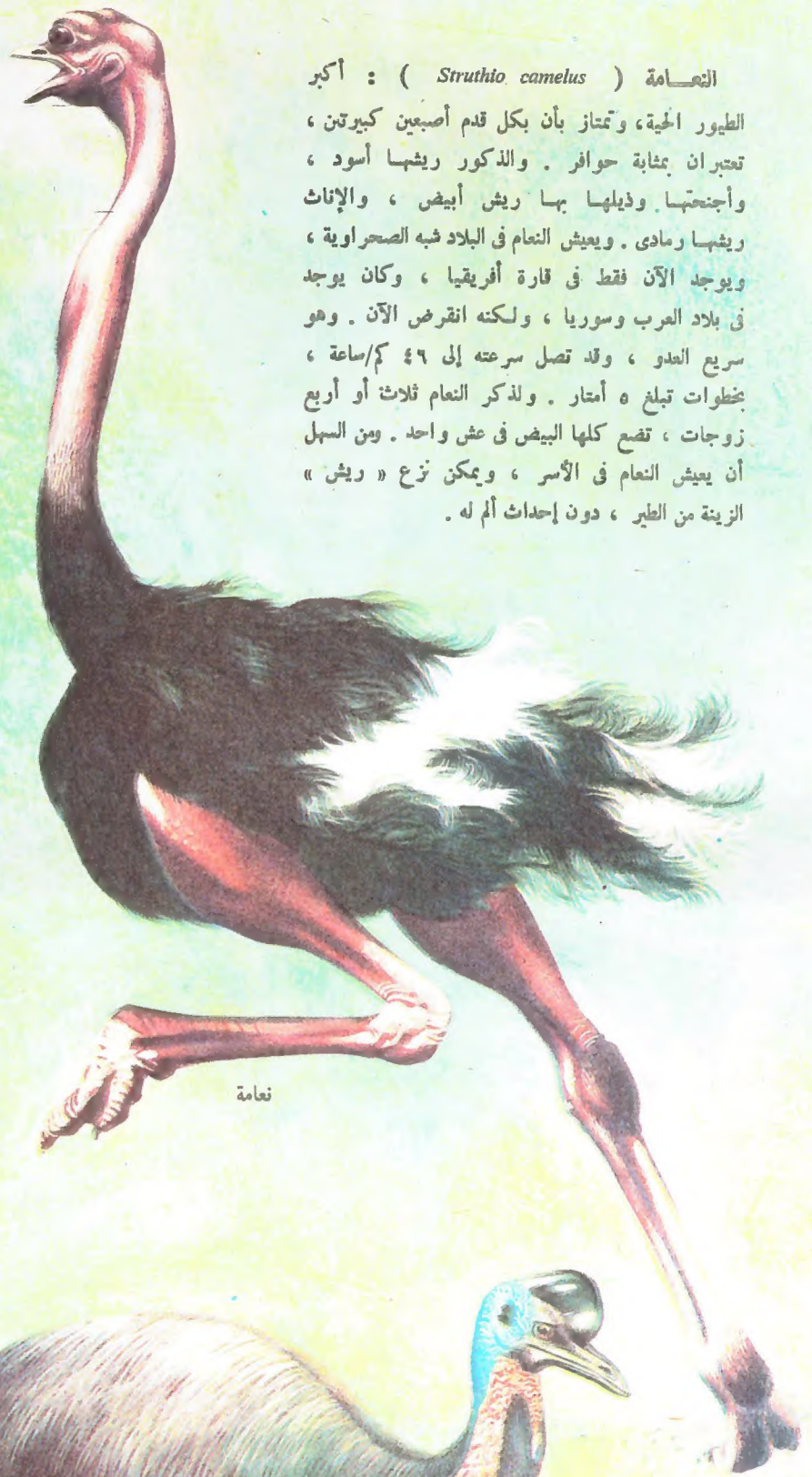
إمارة ليختنشتاين

تستطيع الصورة التي أعلاه ، أن تحدثنا كثيراً عن أهم منطقتين جغرافيتين في ليختنشتاين ، وهما سهول نهر الراين المنخفض الذي تغمره المياه ، ثم تلال الألب وجبالها التي تحيط بها . وتشغل ليختنشتاين مساحة ما يقرب من ١٦٠ كم^٢ تقع بين سويسرا والنمسا .

وفي عام ١٧١٩ ، اتحدت بارونية شلنبرج Schellenberg وولاية فادوز Vaduz ، وكلاهما تتبعان أسرة ليختنشتاين ، وكونتا إمارة تدن بالولاء للإمبراطورية الرومانية المقدسة . وفي عام ١٨٦٦ ، حصلت الإمارة على استقلالها ، وظلت حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ، على صلة وثيقة بالنمسا ، ولكن منذ ذلك التاريخ ، غدت أكثر اتصالاً بسويسرا . وقد كان صغر حجم ليختنشتاين سبباً في تجنبها معظم القلاقل التي حدثت

في الحقل الذي سمّد بالأسمدة الطبيعية ، نجد أن النبات يصبح أشد مقاومة للجفاف . وفي الرسم المقابل (١) ، تربة لم تحصل إلا على أسمدة كيمياوية ، و (٢) تربة حصلت على « سبلة » ، علاوة على الأسمدة الكيماوية .

النعام (*Struthio camelus*) : أكبر الطيور الحية، وتتميز بأن بكل قدم أصبعين كبيرين ، تعتبران بمثابة حوافر . والذكور ريشها أسود ، وأجنحتها وذيلها بها ريش أبيض ، والإناث ريشها رمادي . ويعيش النعام في البلاد شبه الصحراوية ، ويوجد الآن فقط في قارة أفريقيا ، وكان يوجد في بلاد العرب وسوريا ، ولكنه انقرض الآن . وهو سريع العدو ، وقد تصل سرعته إلى ٤٩ كم/ساعة ، بخطوات تبلغ ٥ أمتار . ولذكر النعام ثلاث أو أربع زوجات ، تضع كلها البيض في عش واحد . ومن السهل أن يعيش النعام في الأسر ، ويمكن نزع « ريش » الزينة من الطير ، دون إحداث ألم له .



نعام

إيمو (*Dromiceius novaehollandiae*) : تعتبر ثاني أكبر الطيور الحية ، ومنذ زمن قريب ، كانت توجد منها عدة أنواع في استراليا وتسمانيا ، ولكن الآن يوجد نوع واحد فقط . وتوجد الإيمو في شرق استراليا ، وهي مكروهة من الفلاحين ، لأنها تتغذى على الحشائش ، وتتنافس مع الماشية في المراعي . لذا تشيد أسوار عالية لطرد الإيمو بعيداً عن المراعي الغنية بالأعشاب . ويتكون ريشها من ريش بني ضعيف ناعم ، والبيض أسود .



إيمو

كيوي (*Apteryx australis*) : تعتبر طيور الكيوي من بين طيور نيوزيلندا القليلة التي لا تطير ، والتي عاشت بعد غزو الإنسان . ويعيش طير كيوي العادي في كل من الجزر الشمالية والجنوبية ، وهناك نوعان آخران في الجزيرة الجنوبية . وهي تختلف عن بقية الطيور في وجود فتحات الأنف بالقرب من طرف المنقار ؛ وكذلك بحاسة شم قوية . وتتغذى بنيش الأرض للبحث عن الديدان . ولا يمكن رؤية الجناح خارج الجسم . وتضع طيور كيوي بيضاً ضخماً ، وقد تزن البيضة ربع وزن الطائر الذي وضعها . وهي تضع عادة في المرة بيضة واحدة ، ويقوم الذكر بحضانة البيضة ، التي قد تمتد من شهرين إلى ثلاثة شهور .



كاسواري

طيور كاسواري (*Casuarus species*) : توجد عدة أنواع من هذه الطيور في غينيا الجديدة ، وبعض الجزر المجاورة، وعلى الشاطئ الشمالي لآستراليا . والأجنحة غير متكونة ، والجسم مغطى بريش يشبه الشعر الطويل الكثيف . ولطيور كاسواري « خوذة » Casque على الرأس ، وجلد الرأس والعنق لونه لامع . ومن السهل ترويضها ، ولكنها خطيرة ، ويمكن أن تقتل الإنسان .



كيوي

طير البطريق Penguin : جميع الأنواع السبعة عشر لهذا الطائر ، مكيفة للبحث عن طعامها في البحر . لقد تحولت أجنحتها إلى زعانف تستخدم في العوم ، باستثناء حالة واحدة (بطريق جالاباجوس) . وتعيش طيور البطريق في البحار الجنوبية ، والمناطق المتجمدة الجنوبية .



كاجو Kagu

(Rhinochetus jubatus)

يوجد هذا الطائر في جزيرة كاليدونيا الجديدة فقط ، ويقتصر وجوده الآن على الجبال الداخلية ، ويختفي عليه من خطر الانقراض. والأجنحة جيدة التكوين ، ولكنها ليست بالقوة التي تمكن الطائر من الطيران . وحجم الكاجو مثل حجم طير البشون Heron ، ومن المحتمل أنه ينتمي إلى طيور الكركي Cranes .

الببغاء البوم (Strigops Owl Parrot habroptilus) : يوجد هذا الطائر الغريب في غابات الجزيرة الشمالية من نيوزيلند . وهو فرد من عائلة الببغاوات التي فقدت القدرة على الطيران . وهو من حيوانات الليل ، أي النشطة ليلاً . ولهذا السبب سمي بالطبع باسم الببغاء البوم . ويتسلق الأشجار ، مستخدماً أجنحته في القفز من غصن إلى آخر . وهو طائر نباتي التغذية ، ويبني عشه في ثقب الأشجار ، واضعاً من بيضتين إلى ثلاث بيضات كل مرة .

الريا Rhea (Rhea americana) : وتسمى أحياناً «نعامة المستنقعات» . وهي صغيرة ، ولونها بني ، ولها ٣ أصابع ، وطباعها تماثل إلى حد ما طباع الطيور الأفريقية . وهنا أيضاً يكون للذكر عدة زوجات ، تضع كلها البيض في عش واحد ، قد يتولى في النهاية على ما يقرب من ٦٠ بيضة . ويقوم الذكر بحضانه البيض ، ورعاية الصغار عند فقسها ، ويدافع عنها بشجاعة فائقة . وتوجد الريا العادية في مناطق المستنقعات بالأرجنتين والبرازيل .



ريا



تاكاهي

Takahe تاكاهي (Notornis hochenbretti) : طائر

نيوزيلندي آخر . وهو في الواقع نوع من دجاج الماء الكبير ، كان يظن أنه قد انقرض منذ زمن بعيد ، ولكن في عام ١٩٤٨ ، اكتشفت مستعمرة له صغيرة ، من المحتمل أنه كان بها أقل من ٥٠ طائراً ، وكان ذلك في منطقة بعيدة عن الجزيرة الجنوبية .



كاجو



ويكا

ويكا (Gallirallus australis) : طائر نيوزيلندي في حجم الكتكوت ، ينام بالنهار في جحر ، ويخرج ليلاً لصيد الجرذان والفئران ، وكائنات أخرى صغيرة .



ليس هناك ملك يكتفى « بإدوارد العظيم » ، ومع ذلك فإن إدوارد الأول لا يقل استحقاقاً لهذا اللقب ، عن أى ملك من ملوك العصور الوسطى . كانت إنجلترا بعد الحكم التعس للملك جون (١١٩٩ - ١٢١٦) ، وبعد ثورة دى مونفورت de Montfort ، والحرب الأهلية إبان حكم هنرى الثالث (١٢١٦ - ١٢٧٢) ، فى حاجة إلى ملك قوى ، قدير ، قوى الشخصية . وكان إدوارد فى كثير من هذه الوجوه ، هو الملك النموذجى فى تلك العصور الوسطى . كان طويل القامة ، قوى البنية ، ذا ملامح جذابة ، ومظهر ملوكى ، كما أنه كان مبارزاً ماهراً ، وفارساً قديراً ، بهوى المباريات والاستعراضات . وفوق كل ذلك ، كانت شخصيته المسيطرة تبعث على الاحترام والإعجاب ، لدرجة أن طبيعته التى تتسم بالاندفاع والتهور ، لم تسبب له مشاكل إلا قرب نهاية حكمه .

وعندما توفى هنرى الثالث ، كان ابنه إدوارد فى صقلية ، فى طريق عودته إلى الوطن ، من إحدى الحملات الصليبية . لم يتعجل إدوارد العودة إلى إنجلترا ، بل قام برحلة ترفيهية فى إيطاليا وفرنسا ، وهناك ، وبصفته دوق أكويتين Aquitaine ، قدم فروض الولاء لملك فرنسا ، باعتباره من أصحاب الأملاك فى فرنسا ، كما أنه تمكن من تهدئة نزعة ثورية فى جاسكونيا Gascony . وهكذا فإن إدوارد لم يصل إلى إنجلترا إلا فى صيف عام ١٢٧٤ ، حيث تم تنويجه فى كاتدرائية ويستمنستر يوم ٢٢ أغسطس .

المشرع العظيم

كان إدوارد ، وبحق ، ملكاً على إنجلترا بكل ما فى هذا الوصف من معنى . لقد مد سلطانه الملكى ، وحاول أن يفرض إشرافه بنفسه أو بمعاونيه على جميع شئون الدولة . ومن أعظم مظاهر النجاح التى تميز بها حكمه ، الزيادة الملحوظة فى مساحة الرقعة التى تطبق فيها القوانين الملكية ، وزيادة فاعلية تلك القوانين ، بحيث أن الشعب ، فى كل ركن من أركان المملكة ، كان يشعر بأنه خاضع لملك حازم ، وفى نفس الوقت يستشعر منه الحماية .

أمر إدوارد ، بمجرد وصوله إلى إنجلترا ، بإجراء تحقيق شامل فى مختلف الامتيازات والحقوق التى حصل عليها اللوردات المحليون . وقد عرف هذا التحقيق باسم « بأى حق Quo Warranto » ، وكان يهدف إلى إثبات أن كثيراً من الامتيازات المحلية لم تكن قانونية ، وأن منحها لم يكن بمراعى ملكية .

وقد وردت الإجراءات التى كانت تهدف إلى توسيع نفوذ الملك ، وجباية كل المساعدات والضرائب المستحقة له ، فى قانونين عرفا باسم قانون ويستمنستر الأول والثانى (الأول فى عام ١٢٧٥ ، والثانى فى عام ١٢٨٥) ، وقانون ثالث عرف باسم قانون جلوسستر (١٢٧٨) ، ثم قانون « بأى حق » (١٢٩٠) . فضلاً عن ذلك ، فإن تلك القوانين ساعدت على رفع مستوى العدالة ، والقضاء على الرشوة فى صفوف موظفى الملك . وقد اهتم إدوارد ، بصفة خاصة ، بالنظام المعقد الخاص بملك الأراضى . فقد اشتمل قانون ويستمنستر الثانى ، على فقرة شهيرة عرفت باسم « شروط التوريث » ، نصت على أنه فى حالة وفاة مالك الأرض دون أن يخلف وريثاً ، فإن أرضه تؤول ملكيتها إلى المورث الأصلى . وبمقتضى قانون الوساطة Quia Emptores (١٢٩٠) ، تمكن إدوارد من تبسيط النظام الإقطاعى ، إذ قضى بأنه فى حالة ما إذا كان (ب) يستأجر أرضاً من (أ) ، فإن (ب) لا يستطيع أن يوجر هذه الأرض إلى (ج) إلا إذا زالت صفته الإقطاعية ، ومعنى ذلك أن (ج) يستطيع أن يحصل على الأرض من (أ) مباشرة . ومن القوانين الأخرى الهامة التى أصدرها إدوارد ، قانون مورتمين Mortmain (١٢٧٨) ، الذى قصد به أن يحول دون تملك المؤسسات للعقارات ، كالكنيسة مثلاً ، إذ أن المؤسسات لا « تموت » ؛ وعلى ذلك ، فإن العقار الذى تملكه يضيع على المالك إلى الأبد . وكذلك قانون ونشستر Winchester (١٢٧٨) ، الذى زاد من أحكام تنفيذ القوانين وفرض النظام ، ثم قانون أكتون بيرنيل Acton Burnell (١٢٨٦) ، الذى نظم القوانين الخاصة بالتجارة والتجار .

١٢٩٦ - وينشلى (فى الوسط) يناقش إدوارد فى مشاكل الكنيسة (من لوحة معاصرة)

كسر شكيمة الويلزيين

بقدر ما كان إدوارد يرغب فى تثبيت سلطانه داخل الوطن ، فإنه أراد أن يمد هذا السلطان إلى ويلز وسكتلند ، وهى البلاد التى ظلت لفترة طويلة تعترف بسيطرة ملك إنجلترا ، وإن كان اعترافها هذا اعترافاً مبهماً غير محدد . وقد ثار النزاع مع ويلز بسبب أميرها الصلف المتكبر ليولين أوف جوينيد Llewelyn of Gwynedd الذى كان عدواً قديماً لإنجلترا . وبالرغم من أنه كان فى حالة سلم معها منذ معاهدة شرويسبرى Shrewsbury (١٢٦٧) ، فإنه انتهز فرصة تولي ملك جديد ، لإعادة إثارة النزاع ؛ من ذلك أنه رفض حضور حفل التتويج ، حيث كان عليه أن يقدم فيه فروض الولاء لإدوارد كملك على البلاد ، كما أنه تجاهل الأمر الصادر بدعوته لحضور برلمان عام ١٢٧٥ .

وقد اعتبر إدوارد هذا التصرف من جانب ليولين شقاً لعصا الطاعة ، فاحتجز إليانور دى مونفورت Eleanor de Montfort (ابنة سيمون دى مونفورت) ، بينما كانت فى طريقها للزواج من ليولين . وفى عام ١٢٧٧ ، نشبت الحرب بين إنجلترا وويلز ، وسرعان ما ظهرت عبقرية إدوارد العسكرية ، وبراعته فى القيادة . كان جيشه جيد التنظيم ، فتمكن من اكتساح كل ما فى طريقه . وعندما وجد ليولين أن جيوشه أخذت فى التقهقر ، وأن قلاعها تسقط الواحدة بعد الأخرى ، اضطر للتسليم . وكانت معاهدة كونوي Conway التى أبرمت فى نوفمبر ١٢٧٧ ، هى النهاية لتلك الحرب . وقد قضت تلك المعاهدة ، بحرمان ويلز من صفة الإمارة المستقلة ، وإن كان إدوارد ، ابن إدوارد ، جاء فيما بعد ، ووضع تقليداً جديداً ، أصبح بمقتضاها ابن ملك إنجلترا أميراً على ويلز . وقد اجتهد الصراع مرة أخرى فى عام ١٢٨٢ ، عندما تمكن ليولين من إشعال الثورة فى جزء من شمال ويلز ، غير أن إدوارد عاد لغزوها وحقق عليها انتصاره الثانى . وفى ديسمبر ١٢٨٢ قتل ليولين . وفى أبريل سنة ١٢٨٣ ، كانت الثورة قد قُعت . وقد تضمن قانون رودلان فى عام ١٢٨٤ شروط

السلام . وبالرغم من أن ثورات أخرى قامت في ويلز في عامي ١٢٨٦ و ١٢٩٤ ، إلا أن إقرار السلام فيها ، يمكن أن يعد من أكثر أعمال إدوارد التي تنسم بالحسم والثبات .

الضرب على أيدي الاسكتلنديين

برزت سكتلند في مجال السياسة الإنجليزية عام ١٢٨٩ ، عندما خطبت ملكة سكتلند الطفلة لابن إدوارد ، وكانت تلقب « بعذراء الترويج » . وعندما توفيت في عام ١٢٩٠ ، تقدم المتنافسون على عرش سكتلند إلى إدوارد ، وطلبوا منه أن يختار من بينهم من يعتلي عرش سكتلند . وكان أقوى المطالبين حجة هما جون باليول John Balliol وروبرت بروس Robert Bruce . وفي عام ١٢٩٢ ، أصدر إدوارد قراره في صالح باليول . ولم يكن من المستغرب أن يبدى كثيرون من نبلاء سكتلند معارضتهم لتدخل ملك إنجلترا في الشؤون الأسكتلندية ، ولذلك فإنه عندما استدعى إدوارد باليول لحضور البرلمان الإنجليزي في عام ١٢٩٣ ، قام هؤلاء النبلاء بتأييد قرار باليول ، رفض الاستجابة لتلك الدعوة . ومرة أخرى نجح إدوارد مضطرا لتثبيت سلطانه بالقوة ، فأجل الاستعدادات للحرب مع فرنسا ، واتجه بقواته شمالا . وفي أبريل عام ١٢٩٦ ، هزم الأسكتلنديين عند دونبار Dunbar ، وترتب على ذلك أن هرب باليول ونزل عن مملكته لإدوارد . وبذلك أصبح إدوارد أول ملك يحكم بريطانيا بأكملها .

غير أن السلام كان قصير الأمد ، ففي عام ١٢٩٧ ، قاد وليم والاس William Wallace ثورة كبرى ، وبالرغم من أنها أخذت في عام ١٢٩٨ ، فقد اقتضى الأمر القيام بعدة غزوات على سكتلند في الأعوام ١٣٠٠ و ١٣٠١ و ١٣٠٣ . وفي عام ١٣٠٦ واجه إدوارد أخطر ما مر به من تهديدات ، ذلك أن روبرت بروس الذي كان جده يسعى للعرش في عام ١٢٩٠ ، أقدم على ذبح منافسة جون كومين John Comyn ، ونادى بنفسه ملكا على سكتلند . وقد أدت هذه الثورة إلى أقصى ما واجهته إنجلترا من هزائم ، وذلك في موقعة بانوكبيرن Bannockburn عام ١٣١٤ . وقد توفي إدوارد ، ذلك الملك العجوز الذي لم يعرف معنى للتراجع ، وهو في طريقه شمالا لتأديب بروس ، وكانت وفاته في معسكر حربي على حدود سكتلند .

الحرب مع فرنسا والتدمير في الداخل

ظلت علاقة إدوارد بفرنسا ، وهي أعدى أعداء إنجلترا في العصور الوسطى ، علامة طيبة حتى عام ١٢٩٣ . ولكن فيليب « الجميل » ملك فرنسا ، حاول في ذلك العام ، أن يؤكد حقوقه باعتباره سيذا على إقطاعيات إدوارد في فرنسا . ولكن إدوارد رفض الامتثال لطلب استدعائه للمثول أمام البلاط الملكي الفرنسي ، فما كان من فيليب إلا أن احتل مقاطعة جاسكونيا Gascony التي تمتلكها إنجلترا . غير أن سياسة إدوارد التي كانت تميل للحرب ، قدر لها أن تواجه نتائج مريرة : كانت ضريبة الصادر على الصوف يتوالى فرضها على التجار ، وفي الأعوام ١٢٩٤ و ١٢٩٥ و ١٢٩٦ ، قام البرلمان بفرض الضرائب على الفرسان وسكان المدن ، في حين فرضت ضرائب باهظة على الكنيسة أيضا في عامي ١٢٩٤ و ١٢٩٥ . وهكذا أخذ التدمير يتزايد ، وفي عام ١٢٩٧ ، رفض اثنان من كبار البارونات ، هما هيرفورد Hereford ونورفولك Norfolk ، الاشتراك في الحملة التي كان بعدها إدوارد لإرسالها خارج البلاد لاسترجاع جاسكونيا . وفي الوقت نفسه ، أعلن رجال الكنيسة ، بزعامة وينشلسي Winchelsea رئيس أساقفة كانتربري الجديد ، أنهم

يتمسكون بالمرسوم البابوي (Clericis Laicos) لعام ١٢٩٦ ، ورفضوا دفع الضرائب التي لم يوافق عليها البابا . وقد استمرت العداوة المريعة بين الملك والكنيسة حتى آخر حكمه ، في حين أمر إدوارد بإيقاف وينشلسي ونفيه من البلاد في عام ١٣٠٦ . وبعد أن كان إدوارد قد أجل حملته لغزو فرنسا مرتين بسبب حروب ويلز وسكتلند ، أبحر إلى فرنسا في صيف عام ١٢٩٧ . ولكن حملته تلك باءت بالفشل الذريع ، فاضطر للاتفاق مع فيليب في أكتوبر ١٢٩٨ على هدنة مؤقتة ، كان من شروطها إبقاء الحال على ما كانت عليه . وهكذا انتهت عملية غزو فرنسا ، بعد أن كلفت إدوارد كثيرا ، وأفقدته ثقة رعاياه . وفي الفترة التي تغيب فيها إدوارد عن إنجلترا خلال عام ١٢٩٧ ، اضطر نائبه لإقرار العهد الأعظم (الماجنا كارتا Magna Carta) ، وميثاق الغابة ، ويعرف ذلك باسم « تثبيت العهد Confirmatio Cartarum » . وفي عام ١٣٠٠ ، اضطر إدوارد نفسه للموافقة على هذا العمل ، وعلى إضافة بعض البنود التي تشتمل على قيود جديدة (Articuli super Cartas) .

أبو البرلمان

لم نشر حتى الآن إلى أحد الإنجازات الحيوية التي تميز بها عصر إدوارد ، ذلك هو تطور البرلمان . كان التقليد المتبع أن يدعو الملك البرلمان للاجتماع ، كلما ارتأى ضرورة لذلك ، غير أن إدوارد توسع في استخدامه على مستوى أوسع منه في أي وقت مضى . كان إدوارد يكثر من استدعاء البرلمان ، لأنه كان يدين بالمبدأ القائل بأن « كل ما يمس الجميع ، يجب أن يوافق عليه الجميع » . فكان يرغب في أن يوافق البرلمان على ما يتخذ من إجراءات ، لكي يحصل بذلك على تأييد الشعب لسياسته . وفضلا عن ذلك ، فإنه عندما كانت بعض المسائل العامة كالضرائب تطرح للمناقشة ، كان إدوارد في بعض الأحيان يستدعي بعض رعاياه الأقل منزلة ، كبعض سكان المدن ، والفرسان ، وصغار القساوسة ، علاوة على أعوانه التقليديين ، وكبار رجال الدولة والكنيسة . والواقع أن إدوارد كان يرى أنه من المفيد أن يستعرض معظم شؤونه داخل البرلمان ، وهو بعمله هذا ، إنما كان يدعو الأمة لمشاركته الثقة ، كما أنه كان عاملا على تطور البرلمان من بعده .

كان أول برلمان يدعو إدوارد بعد توليه الحكم (١٢٧٥) قد وافق على فرض ضريبة جديدة على الصوف ، عرفت بعد ذلك باسم « الضريبة العظيمة القديمة في الدولة » ، كما أن معظم مراسيمه الشهيرة صدرت عن طريق البرلمان . وكان التجار يدعون لحضور جلسات البرلمان للموافقة على فرض الضرائب اللازمة للإنفاق منها على حروب إدوارد . وكان البرلمان هو الذي أقر أحكام الإعدام بعد الحروب مع ويلز . كما أن برلمان عام ١٢٩٥ كان يضم ممثلين من جميع طبقات المجتمع ، وعرف في التاريخ بأنه « البرلمان النموذجي » .

وأخيرا ، يجب ألا ننسى الأعمال التي قام بها إدوارد في مجال الحرب . وقد كانت القلاع العظيمة المنيعة المترامية في حلقات ، والتي بناها في ويلز ، وكذلك استخدامه حملة الأقواس الطويلة من أهالي ويلز ، بداية مرحلة جديدة في تطور إنجلترا الحربي .

إدوارد في إحدى ثورات غضبه المشهورة ، بسبب رفض أحد كبار رجال الكنيسة دفع الضرائب



الآن يجب أن تعرف

- ١ - من كان ليولين أوف جوينيد ؟
- ٢ - ماذا كان البرلمان « النموذجي » ؟
- ٣ - متى غزا إدوارد فرنسا ؟
- ٤ - متى أعلن روبرت بروس نفسه ملكا على سكتلند ؟
- ٥ - من هو رجل الكنيسة المشهور الذي نفاذ إدوارد عام ١٣٠٦ ؟

الثورة الزراعية

وسرعان ما انتشر ، بدلا من نظام نثر البذور على سطح التربة .

وهناك رائد آخر من رواد أوائل القرن الثامن عشر ، هو الفيكونت تونزهند ، الذى اشتهر باسم تونز هند (اللفت) Turnip Townshend . فإن هذا الرائد ألقى ببجاء طاقته ونشاطه فى فلاحه الأرض ، وإن أدت التجارب التى قام بها فى مجال المناوبة بين المحاصيل Crop Rotation ، إلى إكسابه شهرة ذائعة خلدت اسمه . فقد وجد أنه بزراعة محاصيل مثل البرسيم واللفت بالمناوبة مع الحبوب ، أصبح فى إمكانه توفير علف للمواشى فى فصل الشتاء ، والعمل فى نفس الوقت على تحسين التربة . إذ كان الحقل بموجب النظام القديم ، يظل بعد استخدامه لزراعة الحبوب ، عاطلا تماما سنة كاملة .

كذلك استطاع روبرت بيكويل Robert Bakewell من مقاطعة ليستربدأ تجاربه عام ١٧٥٥ ، وأمكنه إنتاج عدد من السلالات المحسنة فى تربية المواشى .

أما كوك Coke صاحب ضيعة هولكام ، الذى قامت تجاربه على تهجين الماشية ، فقد تمكن من تحسين أنواع من الخيول ، يمكنها القيام بضعف العمل الذى كانت تقوم به أسلافها .

والمرجح أن إنجلترا لم تشهد قط مثل هذا الجهد المركز ، للحصول على المزيد من غلات الأرض الزراعية . وفى الوقت الذى كانت فيه حياة الأمة تعتمد على كفاءتها الزراعية ، فإن الزراعة الإنجليزية أبدت تجاوبا رائعا . ذلك أنه حينما كانت إنجلترا فى نهاية القرن مشتبكة مع أوروبا الواقعة تحت سيطرة نابليون ، ومعزولة فى جزيرتها كالحمار فى الصدفة ، نتيجة للحصار الأوروبى من حولها ، أصبح وجودها فى ذاتها معلقا على مقدّرتها فى إطعام نفسها . ولم يكن نجاحها فى ذلك سوى نتيجة للثورة الزراعية موضوع هذا المقال .

الريف ذاته . فقد كانت إنجلترا الريفية فى بداية القرن الثامن عشر ، تختلف تماما عما هى عليه اليوم . كان كثير من الملكيات يتألف من حقول مترامية ممتدة ، يملك فيها عديد المزارعين ، أحواضا من الأرض منفصلة وغير مسورة . وكان لهذا النظام مساوئه الواضحة . فقد كان أى تقدم محدودا ومقيدا من جانب من هم أقل كفاءة ومقدرة من أفراد هذه البيئة الزراعية . وكانت الأعشاب الضارة التى تنبت فى قطعة أرض مهملة ، تجد طريقها إلى رقعة الأرض الأخرى ، التى يملكها مزارع أكثر جدّا ودأبا . وفى كل الأحوال ، كان من الصعب تطبيق الأساليب الجديدة فى الملكيات المتفرقة المبعثرة . وكانت العملية التى أطلق عليها اسم « حركة تسوير الأرض » قد بدأت من قبل بنحو أربعة قرون ، ولكن القرن الثامن عشر شهد زيادة ضخمة فى هذه العملية . وتقول التقديرات إن حوالى نصف الأرض المزروعة فى عام ١٧٠٠ ، كان فقط مقسما إلى حقول مسورة . وبحلول عام ١٨١٥ ، أصبحت جميع الأراضي القابلة للزراعة مسورة فعلا ، وأصبح فى الإمكان إذن فلاحها اقتصاديا . وقد أدى هذا (التسوير) الذى لا هوادة فيه من جانب كبار المزارعين فى جميع الملكيات المتجاورة ، إلى جلب الخراب على رؤوس الكثيرين من صغار المزارعين ، مما أدى إلى طردهم من الأرض . ولكن هذه الحركة ، فى إجمالها ، يسرت أسباب التطورات الكبيرة التى كانت بادية فى الأفق .

أساليب تكنولوجية جديدة

إن « موجة المخترعين » ، الذين اقترنت أسماؤهم بالثورة الصناعية ، لها ميناظرها فى صدد الثورة الزراعية التى عاصرتها . كان جيثرو تول Jethro Tull ، من مقاطعة بيركشير ، معدودا من المهوسين ، إذ كان يرفض استعمال السماد الحيوانى كمخصب . ولكن حدث أثناء زيارته لفرنسا ، أن راح يدرس أساليب شق وتقليب التربة لكى يتخللها الهواء ، وهى الأساليب التى قام بتطبيقها فى موطنه بنجاح كبير . كما أنه أدخل تكتيكا آخر ، هو شق فتحات بمثقاب لبذر البذور ،



الفيلسوف تونزهند الملقب باللفت (١٦٧٤ - ١٧٣٨) . إن تجاربه جعلته واحداً من أشهر « النبلاء المزارعين » فى إنجلترا

لابد لبريطانيا اليوم من الاستيراد أو الموت ، ولكنها فى القرن الثامن عشر ، كانت تستنبت أكثر طعامها فى الداخل . ويرجع تاريخ هذا الاكتفاء الذاتى Self-sufficiency إلى قرون ماضية ؛ وقد ظلت أساليب الزراعة على مدار السنين ، وهى تنمو وتتطور ببطء ، لمواجهة الاحتياجات المتزايدة والمتغيرة . ومنذ حوالى منتصف القرن الثامن عشر وما بعده ، أصبح معدل سرعة هذا التطور يتزايد أضعافا مضاعفة ، إلى حد أن أطلق على هذه الفترة كلها وصف عهد الثورة الزراعية Agricultural Revolution .

كان هناك عاملان هما السبب فى تغيير طبيعة اقتصاد البلاد فى ذلك العهد . أولهما أن التعداد السكانى ، الذى ظل ثابتا تقريبا منذ أقدم العهود ، ما لبث أن أخذ يتضاعف بنسبة تبلغ حد الانفجار . فإن التعداد الكلى البالغ خمسة ملايين نسمة فى عام ١٧٠٠ ، أصبح عشرة ملايين فى نهاية القرن . والعامل الثانى هو أن النمو السريع للمدن ، الذى اقترن بالثورة الصناعية ، كان معناه أن هناك أعدادا متزايدة من أفواه سكان المدن ، لابد من إطعامها من خارج المنطقة . وقد نمت حول المدن الكبيرة ، مراكز كانت تتولى تزويدها باللبن ، والزبد ، والبيض . لقد كانت هذه التغييرات التى طرأت على مظاهر الحياة فى إنجلترا ، هى الأساس للثورة الزراعية .

الأرض الزراعية

كان أوضح تأثير لهذه الثورة ، هو الذى شمل



توماس وليام كوك ، إيرل أوف ليستر (١٧٥٤ - ١٨٤٢) ، الذى يبدو فى الصورة إلى اليسار . إنه رائد من رواد إدارة الملكيات الزراعية الكبيرة ، وقد مهد الطريق لتحقيق الرخاء الزراعى الجديد ، بما استحدثه فى ضيعته هولكام بمقاطعة نورفولك



أحد الأوجه التي تستخدم فيها الهليكوبتر ، والتي لا يمكن أن تستخدم فيه وسيلة أخرى ، ذلك هو إنقاذ الغرق في المياه التي تشد فيها الأمواج

الهليكوبتر

المكونات الأساسية للهليكوبتر

تزود الطائرة الهليكوبتر عادة ، بمروحة رئيسية أو اثنتين ، يتكون كل منهما من ثلاث أو أربع شفرات ، وأحيانا أكثر من ذلك .
والمروحة الرئيسية ، وهي تعمل عادة بواسطة محرك ذى احتراق داخلي ، تدور في مستوى أفقي فوق جسم الهليكوبتر ، وهي بحركاتها اللولبية في الهواء ، تولد قوة شد ، كما تفعل أية مروحة أخرى .
إن مروحة الطائرة العادية ، تدور في مستوى رأسي أمام جسم الطائرة ، فتجذبها إلى الأمام . أما مروحة الهليكوبتر ، فتدور في مستوى أفقي ، فوق جسم الجهاز ، وتجذبها إلى أعلى ، أو تحافظ على ثباته في الهواء ، وهذا هو سر عمل هذا الجهاز . فالمروحة هي التي تمكنه من الانفصال عن الأرض ، والصعود رأسيا دون الحاجة لذلك الممر الطويل ، ممر الإقلاع ، اللازم لإقلاع الطائرة العادية .

الطيران بالحركة الانتحارية

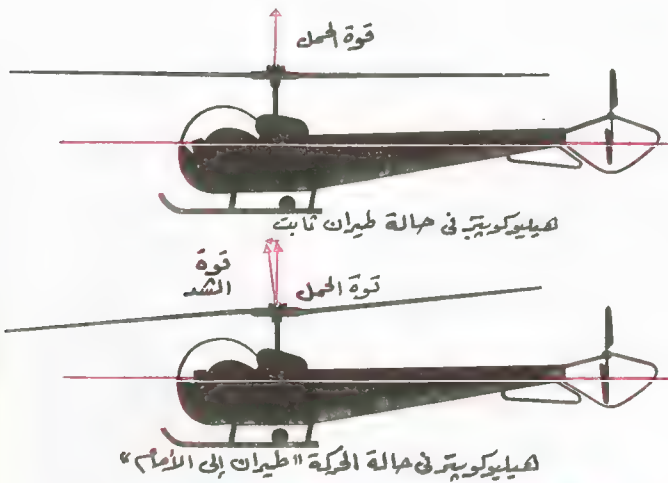
لكي تتحرك الهليكوبتر إلى الأمام ، فإنها تتحول نوعا ما إلى طائرة عادية ، أي أنها تحدث ميلا إلى الأمام ، في المستوى الذي تدور فيه المروحة (القرص الدوار) . وعندئذ ، فإن المروحة الرئيسية تولد قوة شد إلى الأمام ، مع استمرارها في المساعدة على توازن الهليكوبتر .
وواضح أنه إذا مال مستوى الدوران إلى الخلف ، أو إلى أحد الجانبين ، فإن الهليكوبتر تتحرك إلى الخلف أو إلى أحد الجانبين .

كما أنه يمكن تحريك الهليكوبتر إلى الأمام ، بتغيير معدل حركة شفرات المروحة الرئيسية (كما سيأتى بعد) ، ويتم هذا التغيير عن طريق رافعة تسمى « جهاز التحكم في الحركة الدوارة » .

إننا جميعا نعرف الشكل العام لذلك الطائر الضخم الصاخب ، الذي كثيرا ما يمرق فوق رؤوسنا ، ثم يتوقف في الهواء ، وكأنه جندي يؤدي حركة « محلك سر » ، ثم يصعد أو يهبط عموديا . إن الهليكوبتر تؤدي ما يعتبر أداؤه ، بالنسبة للطائرة العادية ، هدفا لا تزال تسعى لتحقيقه ، ألا وهو الإقلاع والهبوط عموديا ، والأهم من ذلك اتخاذ الوضع الثابت في الهواء .

ماهي الهليكوبتر

إن كلمة هليكوبتر Helicopter ترجع إلى الأصل اليوناني Helix بمعنى لولب ، و Pteron بمعنى جناح ، وبذلك فهي تعني الجهاز ذا الجناح المروحي .
إن السطح الحامل في الطائرة العادية ، وهو الذي يستند على الهواء ، يتكون من الأجنحة . أما في الهليكوبتر ، فهو يتكون من مروحة ضخمة ، تسمى المروحة الرئيسية .
ولنتعرض الآن طريقة عمل هذا الجهاز الرائع .

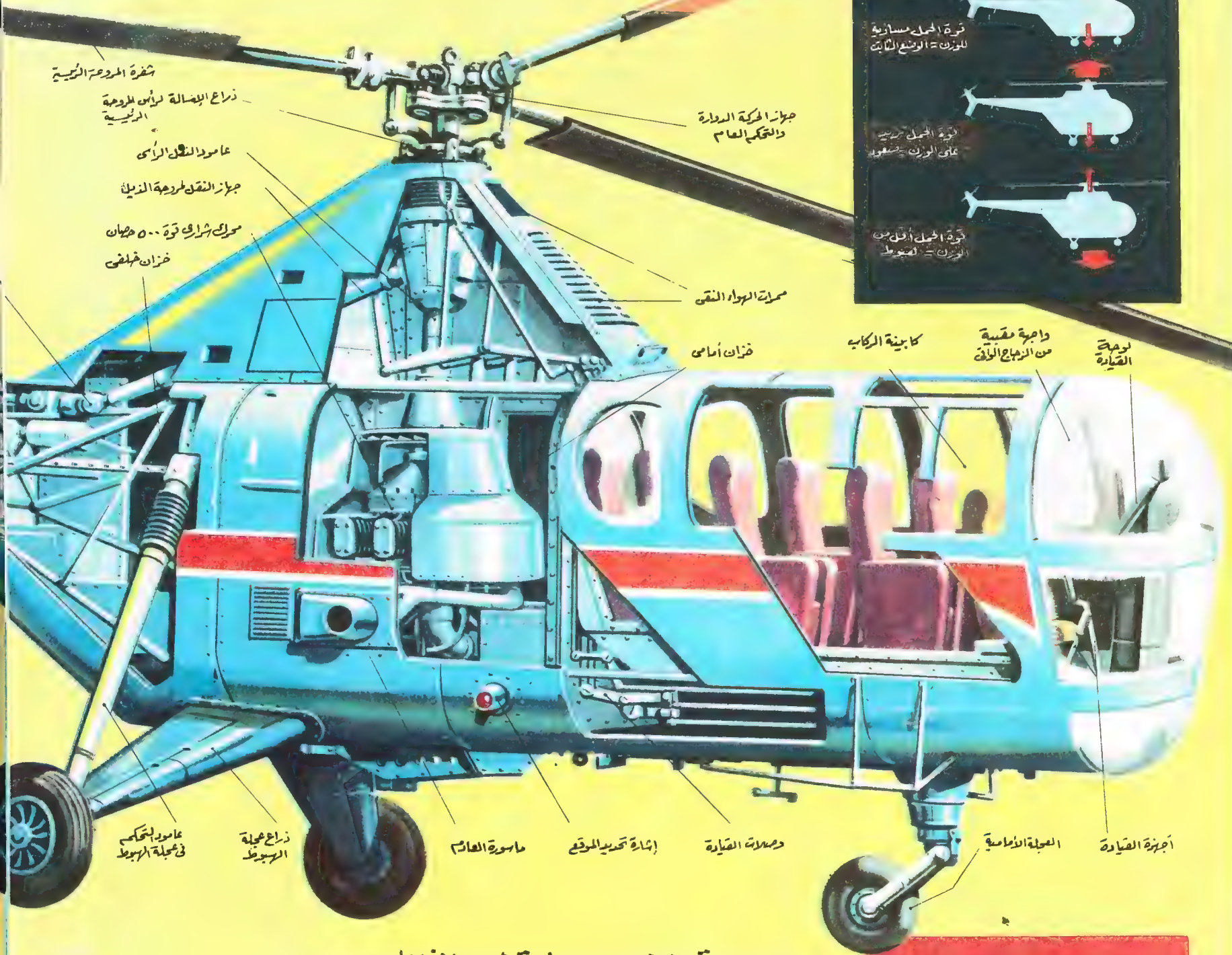


هليكوبتر في حالة الحركة "طيران إلى الأمام"

تعد الأهم من هذه أن الهواء لا يكون له قوة دفع ،
يستخدم في رفع الهليكوبتر ، والإبقاء عليه في الهواء .
وجزء من هذا العمل يتم بتدوير الشفرات في الهواء

الهبوط

ما الذي يجب على قائد الهليكوبتر أن يفعله، ليهبط بها بعد أن تصل فوق هدفها ؟ إن الأمر بسيط . كل ما عليه أن يفعله ، هو تقليل قوة الحمل في المروحة الرئيسية .
ولكي يفعل ذلك ، فإنه يحرك رافعة جانبية ، تعمل على تغيير معدل حركة شفرات المروحة . ومن الناحية العملية ، فإنه يعدل بذلك زاوية اصطدام الشفرات بالهواء . وبهذه الطريقة تقل قوة الحمل ، وإذا صارت هذه الأخيرة أقل من وزن الهليكوبتر ، هبطت هذه من تلقاء نفسها . ولكي نلخص هذا الذي قلناه بوضوح ، فإن الهليكوبتر تصعد إذا زادت قوة الحمل على وزنها ، وتهبط إذا زاد وزنها على قوة الحمل ، وتظل ثابتة في الهواء إذا تساوت قوة الحمل مع وزنها . ونعود فنكرر أن قوة الحمل تتوقف على معدل حركة شفرات المروحة الرئيسية .



المروحة المضادة للازدواج

إن الهليكوبتر جهاز دقيق ومعقد .

عند دوران المروحة الرئيسية تضغط على الهواء ، وبتأثير رد الفعل ، تعمل على تحريك الجهاز بأكمله في اتجاه مضاد لاتجاه دورانه . ولتجنب هذه النتيجة المعاكسة ، وهي التي يسميها الفنيون « بالازدواج » ، توجد ثلاث وسائل . فيمكن مثلاً تركيب مروحتين في اتجاهين متضادين ، سواء على محور واحد (المرواح المتحدة في المحور) ، أو كلاهما عند أحد طرفي الجهاز . وهذه الطريقة الأخيرة ، وهي الأكثر استخداماً في الهليكوبتر ذات الحجم الصغير والحجم المتوسط ، تتلخص في استخدام مروحة صغيرة مضادة للازدواج ، تثبت في وضع رأسي على ذيل الجهاز . وعندما تدور هذه المروحة ، فإن قوة الشد التي تولدها ، توازن الازدواج الذي تحدثه المروحة الرئيسية .

والمروحة المضادة للازدواج ، يجري تشغيلها بواسطة موجه يسمح بإجراء تغيير في معدل حركة المروحة الصغيرة (مروحة الذيل) ، التي يمكن زيادة أو تقليل قوة شدها . وفي هذه الحالات ، فإن ذيل الهليكوبتر يتحرك في اتجاه جانبي ، وبذلك يمكن إدارة الجهاز حول نفسه .



واحدة من أهم أجهزة الهليكوبتر ،
وهي بياركي ، وتستطيع نقل ٤٥ طناً

المروحة بين هليكوبتر
والهليكوبتر فت
العالم

منظر عام لطائرة هيليكوبتر وتوضيح لتركيبها الداخلي

محركات
عامود النقل

عامود النقل
مروحة الذيل

الذيل

جهاز النقل لمروحة الذيل

مروحة مضادة
للأضرار
"مروحة الذيل"

استخدامات الهليكوبتر

الهليكوبتر جهاز عمل لأقصى درجة ، فهي تستطيع الانتقال إلى أي مكان تقريباً : على الجبال ، وفي البحار ، ومناطق الفيضانات ، والزلازل ، وعلى الجزر الكبيرة والصغيرة ، وأعمدة المصابيح الكاشفة ، وأبراج الأسلاك الكهربائية الضخمة ، وجبال الجليد ، والغابات الكثيفة ، والأنهار ذات الفيضانات العالية ، وأسطح المباني ، وفي قلب المدن الكبيرة ، وفي كثير من الأماكن الأخرى التي تستطيع الطائرة العادية التحليق فوقها ، ولكنها تعجز عن التوقف . ويمكن اعتبار الهليكوبتر قاعدة للعمليات ، يمكن نقلها وإبقاؤها ثابتة فوق المكان المطلوب العمل به . ولذلك فإنها تستخدم الآن في مئات من الأوجه المختلفة . هذا علاوة على استخدامها في نقل الركاب والبضائع ، وفي أعمال المسح الطوبوغرافي ، وإنقاذ الغرق ، ونقل الجرحى ، ومد الكابلات ، ورش المبيدات الحشرية ، وتموين المنازل والقرى والفنارات المنعزلة ، كما تستخدم في أعمال الرقابة على الغابات ، وقطعان الماشية ، وإطفاء الحرائق ، وأعمال النجدة في حالات الانهيارات ، وفي التفتيش على الخطوط الكهربائية الجبلية ذات الضغط العالي . . . إلخ .

مزايا الهليكوبتر وعيوبها

إلى جانب ما للهليكوبتر من مزايا رائعة ، فإن لها أيضاً بعض العيوب ، في الوقت الحاضر على الأقل . فهي أولاً جهاز دقيق معقد في تشغيله ، وصعب التوجيه . وعلاوة على ذلك ، فهي جهاز يتطلب محركاً أقوى كثيراً مما يلزم لطائرة عادية تماثلها في الوزن والقدرة . فالهليكوبتر الصغيرة التي تنقل ثلاثة أو أربعة أفراد ، تحتاج لمحرك قوته ٢٠٠ حصان ، في حين أن الطائرة العادية ذات الأربعة مقاعد ، يكفيها محرك قوة ١٠٠ حصان . ولذلك فإن الهليكوبتر تستهلك كميات كبيرة من الوقود والزيت . وأخيراً فإن الهليكوبتر جهاز بطيء (ينذر أن تزيد سرعتها على ٢٠٠ كم/ساعة) ، فضلاً عن الضوضاء العالية التي تحدثها . وبالنسبة لاستهلاكها الزائد في الوقود ، فإن درجة اكتفائها الذاتي منخفضة ، والواقع أنها تضطر لحمل كل ما يلزمها من وقود في داخل هيكلها ، في حين أن الطائرات العادية لها خزانات كبيرة في داخل أجنحتها .

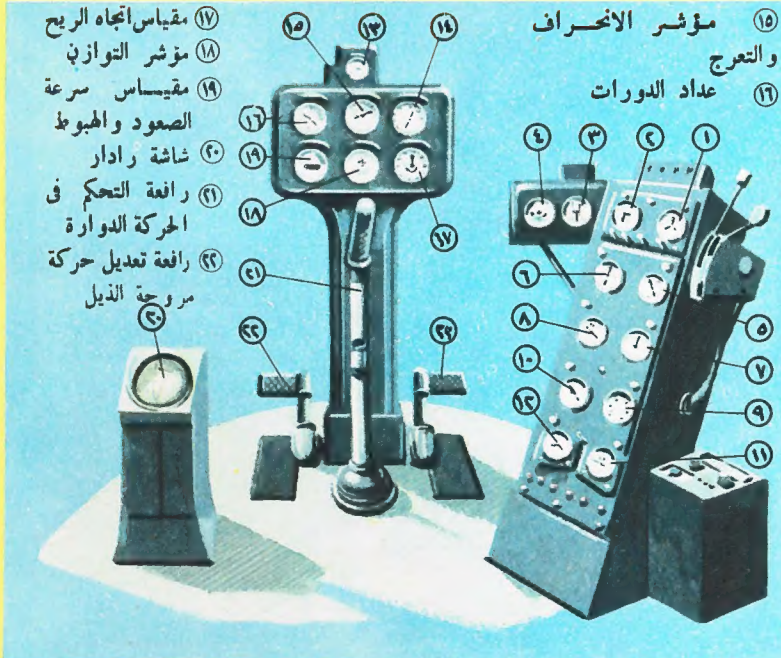
لوحة أجهزة القيادة والتحكم

- ١ مؤشر مستوى الوقود في المغذى
- ٢ المحول
- ٣ البوصلة
- ٤ مؤشر التوازن
- ٥ عداد الدورات
- ٦ مقياس اتجاه الرياح
- ٧ مؤشر الضغط في المغذى
- ٨ مقياس الارتفاع
- ٩ مقياس حرارة
- ١٠ مؤشر ضغط الزيت
- ١١ مقياس حرارة لقياس درجة حرارة السندرات
- ١٢ مقياس قوة التيار الكهربائي (أمبير ومتر)
- ١٣ بوصة
- ١٤ مؤشر الضغط في المغذى

مؤشر الانحراف والتعرج

- ١٥ عداد الدورات

- ١٧ مقياس اتجاه الرياح
- ١٨ مؤشر التوازن
- ١٩ مقياس سرعة الصعود والهبوط
- ٢٠ شاشة رادار
- ٢١ رافعة التحكم في الحركة الدوارة
- ٢٢ رافعة تعديل حركة مروحة الذيل



دنز سكوتوس

قدموا المعونات لتلك الطائفة في سكتلند . وفي عام ١٢٨١ تلقى دنز سكوتوس «رداءه» ، وهو الرداء المتواضع لطائفة كانت تعتبر الفقر من الفضائل . وأقيم الاحتفال بتسليم دنز رداءه في كنيسة جريفريرز Greyfriars في دامفريز في عام ١٢٩١ ، وكان في ذلك الوقت قد بدأ دراسته في جامعة أكسفورد .

طالب العلم المتجول

لم يكن تعليم دنز سكوتوس ، ولا حياته في مجال التدريس فيها بعد ، مقصورا على أكسفورد ، فقد أمضى فترات طويلة خارج إنجلترا ، في بلاد عرفت بازدهار الثقافة فيها ، مثل باريس وكولونيا . كانت تلك هي عادة الكتاب والمفكرين في تلك الأيام ، ولذا فإننا نجد أن الجميع كانوا يشتركون في الأفكار والآراء ، وطريقة التعبير عنها . وبعبارة أخرى ، لم يكن هناك ما يمكن أن يعبر عنه بأنه فلسفة ، أو أسلوب أدبي ألماني أو إيطالي بحت ، كما حدث في العصور التي تلت ذلك .

لم تكن حياة دنز سكوتوس في الخارج مليئة بالأحداث ، سوى أنه في عام ١٣٠٢ أبعده عن باريس ، لرفضه أن ينحاز إلى جانب الملك فيليب الجميل في نزاعه مع البابا بونيفاس الثامن .

فيلسوف ولاهوتي

أسهم دنز سكوتوس بنصيب وافر في أفكار العصور الوسطى ، ونال التقدير الذي كان متبعا في عصره ، إذ منح لقب «الدكتور الدقيق» (وهذه الكلمة الأخيرة تدل على ما اتصف به من ذكاء حاد) .

كانت المشكلة الكبرى التي تواجه رجلا مثل القديس توما الأكويني ودنز سكوتوس ، هي كيفية التوفيق بين الفلسفة الوثنية الموروثة عن أرسطو وغيره من قدماء فلاسفة الإغريق ، موين تعاليم المسيحية .

«البطئ الفهم»

واجهت بعض أفكار دنز سكوتوس معارضة شديدة ، لدرجة أن كل من كان يوصف بأنه من رجال دنز أو بأنه من معتنقي أفكاره ، كان ذلك يعتبر تحقيرا له ، ويقصد به افتقاره للذكاء . وبديهي أن مثل هذا العداء كان مبعثه أولئك الذين كانوا يعارضون أفكاره ، ولكن تخمس هؤلاء المعادين كان شديدا ، لدرجة كانت سببا في نشأة الكلمة الإنجليزية Duncie ومعناها «بطئ الفهم» .

غير أن هذه التسمية لا تعدو أن تكون من قبيل السخرية ، بدليل أن الشاعر جيرارد مانلي هوبكنز Gerard Manley Hopkins ، ألف قصيدة أسماها «دنز سكوتوس وأكسفورد» حفلت بمدحه ، وقد جاء فيها : «ومع ذلك فإن الهواء الذي أتنفسه .

«هو نفس الهواء الذي كان قوام حياته ، وتلك الأعشاب ، وتلك المياه ، وتلك الجدران هي نفسها . التي لمسها دون باقي الرجال ، وهي التي تبعث الطمأنينة إلى نفسي .

«هو في الحقيقة أندر من أماط اللثام عن الحجب»
«بما لا تستطيع روما ولا أثينا أن تنافسه فيه» .

أما اسمه الأول فهو جون جون John .

وتختلف الروايات عن الحقبة الأولى من حياة دنز سكوتوس . ومما يقال إنه ولد في حوالي عام ١٢٦٦ ، في ماكستون Maxton بمقاطعة روكسبير جشاير Roxburghshire ، وإنه تلقى تعليمه الأولى في هادنجتون Haddington .

دنز سكوتوس والفرنسيسكان

في عام ١٢٧٧ ، التحق دنز سكوتوس ، وكان لا يزال صبيا ، بدير الفرنسيسكان في دامفريز Dumfries ، حيث كان عمه يعمل حارسا . والفرنسيسكان طائفة دينية أسسها القديس فرنسيس الأسيزي St Francis of Assisi ، وكانت قد وصلت إلى إنجلترا قبل ذلك بسنوات قليلة ، وعلى وجه التحديد في عام ١٢٢٤ . وكان نينيان دنز ، والد دنز سكوتوس ، من أعظم من

شهدت أوروبا ، من وقت إلى آخر ، خلال العصور الوسطى ، انتعاشا هائلا في الفنون ، وفي جميع فروع الثقافة ، وكانت بعض هذه الفروع أكثر ازدهارا من بعضها الآخر . أما الفترة التي بلغت فيها الفلسفة واللاهوت Theology الذروة ، فكانت بين عامي ١٢٢٠ و ١٣٥٠ . وكان الفضل فيما اكتسبته تلك الفترة من شهرة ، يرجع إلى ثلاثة من أبرز المفكرين ، أولهم فرنسي يدعى القديس بوناڤتوار St Bonaventura والثاني إيطالي يدعى القديس توما الأكويني St Thomas Aquinas ، أما الثالث فكان رجلا من مواليد سكتلند له اسم غريب هو دنز سكوتوس Duns Scotus .

وقد لا يبدو هذا الاسم غريبا . إذا ما علمنا أن «دنز» هو لقبه ، وهو مشتق من اسم قرية تقع على حدود برويكشاير Berwickshire ، وأن سكوتوس ليس سوى تحريف لاتيني لكلمة «الأسكتلندي» .

الردائل والفضائل - جزء من ملخص الأخلاقيات المسيحية (من رسم في عهد دنز سكوتوس)



كيف تحصل على نسختك

- اطلب نسختك من باعة الصحف والاكتشافات والكتابات في كل مدن الدول العربية
- إذا لم تتمكن من الحصول على عدد من الأعداد اتصل بـ :
- في ج.م.ع: الاشتراكات - إدارة التوزيع - مبنى مؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة
- في البلاد العربية: الشركة الشرقية للنشر والتوزيع - بيروت - ص.ب. ١٩٨٩
- أرسل حوالة بريدية بمبلغ ١٢٠ مليماً في ج.م.ع وليمرة ونصف بالنسبة للدول العربية بما في ذلك مصاريف البريد

مطابع الإصرام التجارية

سعر النسخة

٢٠ ج. - ١٠٠ مليم	أبوظبي - ٢٠٠ فلس
١ - ١٠٠ ل. د.	السعودية - ٢٠٠ ريال
١٢٥ - ١٠٠ ل. س.	عُبدن - ٥ شللات
١٢٥ - ١٠٠ فلس	السودان - ١٥٠ مليما
١٢٥ - ١٠٠ فلس	ليبيا - ١٥ قترشا
١٥٠ - ١٠٠ فلس	تونس - ٢ دركات
٢٠٠ - ١٠٠ فلس	الجزائر - ٣ دقاتير
٢٠٠ - ١٠٠ فلس	المغرب - ٣ دراهم
٢٠٠ - ١٠٠ فلس	

عدالة

وفي نفس الوقت ، فإنه إذا قام النزاع بين قبيلتين بشأن تملك قطعة من الأرض أو بعض المال مثلاً ، فإنه لم تكن هناك أية قاعدة تحدد الطريقة التي يمكن بها فض هذا النزاع ، وعلى ذلك ، فإن الطرف الأقوى في الحرب ، هو الذي يصبح صاحب الحق.

كانت للتقدماء عدالتان

في جميع أنحاء العالم ، نجد أن الإنسان كلما زاد تطوره ، كلما أخذ يشعر بالحاجة إلى تحسين عاداته ، لكي يجعلها أكثر اتساقاً بالعدل ، وإن كان التقدم في هذا السبيل لم يجر بنفس المعدل في كل مكان .

فحتى اليوم ، لا تزال توجد قبائل همجية ، ظلت محتفظة بعادات تراها عادلة ، وإن كانت في نظرنا نحن غير مقبولة ، وفي محيطنا القريب ، نجد أن لكل بلد قوانين تختلف عن قوانين البلد الآخر ، وتحظى باحترام جميع مواطنيه ، وتطبقها محاكمها . وحتى في البلد الواحد ، نجد أن الأشخاص لهم آراء مختلفة بعضها عن بعض ، تبعاً لمعتقداتهم ، ولبلادهم الخاصة ، فيما يتصل بالطريقة التي يجب أن تجرى بها العدالة . وفي استطاعتنا أن نميز الشعوب العظيمة في العصور القديمة ، بمدى إشعاعها الحضاري ، ومدى الجهود التي بذلتها في سبيل تطبيق العدالة .

ثم جاء الفلاسفة اليونانيون ، الذين كانوا يحظون بمنزلة تجذب الجميع لاتباع أفكارهم ، فعملوا على إبراز الأفكار التي يمكن أن تعتبر صالحة ، لا لأهل أثينا فقط ، ولكن لكل أفراد البشر ، وفي كل العصور . وبذلك وضعوا قوانين كان لها الفضل في إلهام الناس من بعدهم .

وقد قام الرومان باستكمال ما تعلموه عن اليونان ، ووضعوا مجموعة كاملة من التشريعات والقوانين ، لا تزال موضع الدراسة والتطبيق من رجال التشريع في عصرنا الحالي .

غير أنه بقيت مرحلة كبيرة ، كان لابد من قطعها ، للوصول إلى إدراك أن جميع الناس سواء أمام القانون ، وأن مفهوم العدالة يجب أن يكون واحداً بالنسبة



الملك القديس لويس ، يجرى تطبيق العدالة تحت شجرة بلوط في فينسين Vincennes

لجميع . والواقع أن اليونانيين والرومان ، بالرغم من تقدمهم العظيم ، لم يكونوا يؤمنون بذلك ، فكان لديهم الرجال الأحرار ، الذين كانوا يتمتعون بحقوق خاصة ، ويعملون على إظهارها ، كما كان لديهم العبيد ، الذين لم يكن عليهم سوى واجب الخدمة والطاعة ، دون أن تكون لديهم أي حقوق .

وكان الاعتقاد السائد ، في العصور القديمة ، أن معاملة العبيد معاملة الحيوان أو الجهاد لا تتنافى والعدالة ، في حين أن أدنى إساءة للرجل الحر ، كانت تثير الغضب (ولا سيما إذا كان أثينياً أو رومانياً) .

ولم يكن في الإمكان تحقيق فكرة المساواة بين البشر أمام القانون ، إلا على مر القرون ، وبتأثير ظهور المسيحية وانتشار التعليم .

في فرنسا العدالة بصعوبة

كانت تعيش في بلاد الغال القديمة شعوب مختلفة ، لكل منها نظرتها الخاصة لمفهوم العدالة ، وطريقتها الخاصة في تطبيقها . فبعد أن غزا الرومان تلك البلاد ، فرضوا عليها قوانينهم الخاصة . وعندما ضعف نفوذهم ، وبدأ الأمراء في وضع أيديهم على الأراضي ، أخذ هؤلاء يستحوذون لأنفسهم على حق تطبيق العدالة ، طبقاً لمفاهيمهم الخاصة ، أو يكلفون بعض أتباعهم بهذا العمل .

وكلما كانت منزلة الأمير عالية ، كلما زاد سلطانه ، فكان يضع القوانين ، أو يغيرها كيفما شاء ، ولم يكن أي فرد يضمن أن يستمع أحد لشكواه . وإذا كان الأمير طيباً ، كانت العدالة تجري في استواء ، ولكنه إذا كان شريراً ، لم يكن الفوز إلا من نصيب أصدقائه ، أو من في استطاعتهم تملقه . كان ذلك هو العصر الذي كان الملك القديس لويس يجرى فيه تطبيق العدالة ، وهو جالس تحت شجرة البلوط . وإذا كان ذلك القديس يحسن هذا التطبيق ، فإن آخرين كانوا يستغلون سلطانهم ، لإعطاء الحق لمن يدفع أكثر .

حدث بعد ذلك أن ضمت الإقطاعيات الصغيرة إلى الإقطاعيات الكبيرة ، وأصبح هناك قانون واحد يجرى تطبيقه في مناطق يتزايد اتساعها تدريجياً . وأخذ الشعور يتزايد بالحاجة إلى عدالة أكثر دقة .

ويرجع الفضل في تأسيس نظامنا الحديث ، إلى الملوك الذين استطاعوا فرض سيطرتهم على جموع النبلاء . وبالرغم من أن القواعد العامة ظلت تختلف تبعاً للمركز الاجتماعي للفرد ، سواء كان من النبلاء ، أو من رجال الدين ، أو من الطبقة الدنيا ، إلا أنه أمكن إنشاء محاكم دائمة ، وتطبيق قوانين موحدة .

وحق ذلك الوقت ، لم تكن هناك محاكم « حديثة » ، تقوم على مبدأ عدم التحيز ، وتدرج المرء ، وعلى الكفاءة . كان القضاة كثيراً ما يستجيئون لإغراء التوابل ، التي كان المتخاصمون يقدمونها لهم (والتي كانت هي مصدر معاشهم في معظم الأحوال) ، أكثر مما يهتمون بتطبيق العدالة في القضايا التي

كانت تعرض عليهم . غير أن ثمة تقدماً أمكن تحقيقه ، من حيث أن المعتدى عليه ، كان في استطاعته أن يجعل صوته مسموعاً . فقد شرعت القوانين في كافة المجالات لحماية ، وإن لم يكن تطبيقها يتسم بالنزاهة في كل الأحوال .



للمعتدى عليه الحق في إسماع صوته

" CONOSCERE "

1958 Pour tout le monde Fabbri, Milan
1971 TRADEXIM SA - Genève
autorisation pour l'édition arabe

الناشر: شركة تراكسيم شركة مساهمة سويسرية "جنيف"

- الفتوحات في العصر الفاطمي .
- إيطاليا .
- المكتبات العامة والمتاحف .
- التسوايل .
- إدوارد الشالفي .
- سوق الخضار والفواكه .
- العدد الأثني .
- وليسم كاكستون .

- الدولة الفاطمية في مصر .
- موناكو وأندورا وليختنشتاين .
- الأسمدة العضوية .
- الطيور التي لا تقوى على الطيران .
- إدوارد الأول .
- الثورة الزراعية .
- أهليكويسر .
- دنز سكوتوس .

عدالة

وقد مرت عليه بعد ذلك فترات ، تفاوتت في طولها ، تعرض فيها للاختفاء ، وكانت البلاد (فرنسا) تتعرض فيها للعديد من الثورات ، لتعود بعد ذلك إلى النظام الجمهوري . واعتباراً من بداية عهد الثورة (الفرنسية) ، أعدت قوانين جديدة ، ولكن الفضل يرجع إلى نابليون الأول (١٨٠٤ - ١٨٠٥) ، الذي جعل منها مجموعة متماسكة من التشريعات ، لا تزال تطبق حتى الآن .

وقد مرت التشريعات والقوانين بعدة تغيرات هامة ، لتتأشى مع تطور البلاد (فرنسا) ، وكانت هذه التغيرات هي المهمة التي تولتها الجمعيات التشريعية المتعاقبة . هذا ولم يطرأ أى تعديل على الأسس التي قامت عليها نصوص تلك التشريعات منذ أكثر من ١٥٠ عاماً ، وأصبح من الممكن لكل فرد أن يحيط بها علماً ، وعليه أن يحترمها ، كما أنها تسرى على الجميع .

من المفروض معرفة كل فرد بالقانون

ومعنى هذا أنه لا يجوز لأى فرد أن يبرر ارتكابه مخالفة ما ، بالادعاء بأنه يجهل القانون . ولذلك كانت دراسة القوانين ، والإلمام بها ، على درجة عظيمة من الأهمية . ويدهى أنه ليس مفروضاً أن تدرس القوانين بكل تفاصيلها ، ولكن الإلمام العام بها ، وهو الذى يمكن إدراكه من البيئة التي نعيش فيها وفي مدارسنا ، هو الذى يجعلنا نقول بأن « هذا عدل » ، وذاك « ليس عدلاً » .

ومما لا شك فيه ، أن القانون لا يحيط « بكل شيء » . فهناك من الأشياء ما يمكن أدائها ، وما لا يمكن . والقانون لا يتعرض إلا لكل ما من شأنه أن يهدد حياة الأفراد في المجتمع ، وليس لضمائرهم الشخصية ، إذ أن هذه من خصائص الفرد في حد ذاته ، والقانون لا ينص إلا على وجوب احترامها .

محاكم للجميع وللدول أيضاً

إن العدالة لا تتوقف . وكلما تقدم التعليم والثقافة ، فإنها في كل يوم تكسب لها أنصاراً . لقد بدأت العدالة مسيرتها ، من حيث كان أفراد القبائل يجاربون بعضهم بعضاً ، إلى أن تمكنت من توطيد أقدامها بين مجموع الدول ، وهي لذلك قادرة على الانتشار في جميع ربوع العالم .

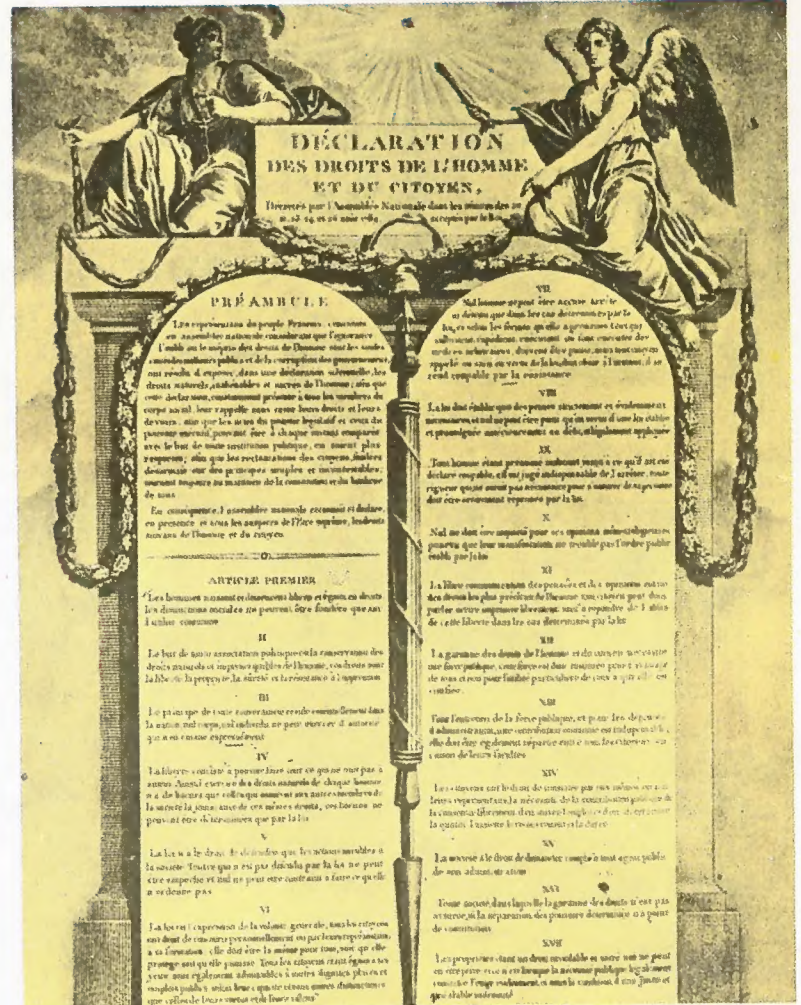
وفي عام ١٩٤٥ ، اتفقت الدول ، بموجب ميثاق الأمم المتحدة ، على عدم استخدام القوة في حل ما يقوم بينها من نزاع ، وأن تلجأ إلى حكم المحكمة الكبرى التي تتكون من هيئة الأمم المتحدة .

وإذا كانت بعض النتائج تدعو إلى خيبة الأمل ، فإن ذلك يرجع إلى أنه من الصعب وضع قواعد ثابتة ، تلائم مثل هذه الهيئات ، وضمان احترامها .

ولكن ، وكما أمكننا متابعة تطور نظام المحاكم في كل بلد على حدة ، هناك أساس يمكن القول بأنه قد أرسى بغية التوصل إلى الحل السلمي للمشاكل الدولية الكبرى . وتمشياً مع نفس الخطوط الفكرية العريضة ، أمكن لحكمة العدل في لاهاى (١٨٩٩) ولعصبة الأمم (١٩١٩) ، أن تضع موائيق أمكنها أن تخفف من شدة المنازعات ، ومن احتمالات نشوب الحرب .



إنشاء عصبة الأمم ، كما كانوا يتصورونها في ذلك العصر



إعلان حقوق الإنسان في صورته الأصلية

وفي نفس الوقت ، كان الملك هو وحده الذى يستطيع أن يسن القوانين ، وكان في استطاعته أن يفرض تطبيقها تبعاً لهواه . هذا ولم تبدأ مرحلة أخرى ، إلا بعد قيام الثورة الفرنسية في عام ١٧٨٩ .

إعلان حقوق الإنسان

أخذت الامتيازات تختفي ابتداءً من ذلك التاريخ ، وأصبح الجميع متساوين أمام القانون . وكان ذلك هو ما جاء في « إعلان حقوق الإنسان » (٢٦ أغسطس ١٧٨٩) . وابتداءً من ذلك التاريخ ، أصبح القانون يطبق على الأقوياء والضعفاء ، كما يطبق على الأغنياء والفقراء .

وقد اتخذت الإجراءات التي تجعل القضاة يتولون تنفيذ القانون ، بمنأى عن التحيز ، والتي تضمن لهم استقلالهم .

وأخيراً فإن القانون لم يعد يصدر عن سلطة يمكنها استغلاله ، ولكنه بدأ يصدر عن مثل الشعب ، الذى كان على أفراد أن يخضعوا لأحكامه .

وابتداءً من ذلك العصر ، تم الفصل بين السلطات :

— فالسلطة التشريعية ، يتولاها ممثلو الشعب ، وهي « الجمعية » (فرنسا) التي تبدى رأيها في القوانين ، عن طريق أخذ الأصوات .

— السلطة القضائية ، وتشمل مجموعة القضاة المستقلة ، والتي يتخذ قضائهم القرارات فيما يخص التطبيق العملي للقوانين وباحترامها .

— السلطة التنفيذية ، وهي التي تحكم طبقاً لنصوص القوانين ، وتساعد السلطتين السابقتين على تأكيد احترام تلك النصوص . وقد عرف هذا النظام بالنظام الديموقراطي ،